روايات عالمية روايات عالمية

خبز وخمر

تأليف : سومرست موم

ترجمة : عمر محمد حسن

٥٠ مليما

سلسلة

روايات عالمية

تصدر عن :

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

وزارة الثقافة

المشرف المسئول : د. محمد إسماعيل الموافي

العنوان : الإدارة العامة للنشر

يوليو - القاهرة

ت : ٩١٢٤٦٠

نقلت إلى العربية كاملة عن

روايـــة

Cakes ond Ale

by

S. Maughom

روايات عالمية

٤٦٣ من الأدب الإنجليزى

٦ يناير ١٩٦٨

خبز وخمر

تأليف سومرست موم

ترجمة عمر محمد حسن

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية
دار الكاتب العربى

نبذة عن المؤلف

ولد وليم سومرست موم عام ١٨٤٧ واقام في باريس حتى بلغ العاشرة من عمره ، وتلقى تعليمه في مدرسة الملك Kings School في كانتربيرى وجامعة هيدلبرج والتحق بعد ذلك بمستشفى سانت توماس بغية ممارسة الطب . غير أن ماحرزه من النجاح في اولى قصصه ليزارث لامبيث عام ١٨٩٧ قد حوله الى الاشتغال بالادب . على آن الايام التى قضاها في العمل الطبى كان لها بعض الاثر في قصصه وبخاصة في قصته الرابطة الزوجية ـ الرائعة التى صدرت عام ١٩١٥ ، وكذلك في قصة القمر والخمس بنات عام ١٩١٩ تلك القصص التى رفعته الى الشهرة الادبية .

كما ,انه أصدر قصصا للمسرح وكانت مسرحيته الاولى . الرجل الشريف (عام ١٩٠٣) التى نالت شهرة قبل وبعد الحرب العالمية الاولى (وذلك في الوقت الذىاشتهرت فيه روايات برناردشو في لندن) ـ واختتم مسرحياته عام ١٩٣٣ بمسرحية شيبى Sheppy

ولكن شهرته الحقيقية كقصصى بدأت بظهور قصة ـ الورقة المرتجفة وبعض قصص اخرى ، جزر البحار الجنوبية عام ١٩٢١ حيث نشرت له اذ ذاك اكثر من عشر مجموعات من القصص .

وقد الف قصصا عن الرحلات التى كان يقوم بها مثل قصة ـ الستار الصينى عام ١٩٢٢ ، وقصة دوق فرناندو عام ١٩٣٥ كما كتب في موضوعات اخرى عن النقد ـ ومذكرات كاتب عام ١٩٤٩ـ وتعتبر هذه القصة امتع ماكتبه موم ولكنها كانت ذات طابع خليع .

وكان يقيم في اواخر ايامه في الريفيرا عندما لجا الى الاعتكاف مؤقتا اثناء الحرب وقد استطاع آن يجوب معظم أرجاء العالم .

وكانت وفاته عام ١٩٦٥ .

شخصيات الرّواية

الوري كير	Alory Kear (Roy)
مس فيللوز	Miss Fellous
روزي	Rosie
ادوارد دريفيلد	Edward Driffield
جالاوي	Gallawy
آمي دريفيلد	Amy Driffield
لادي هودمارش	Lady Hodmarch
لورد سكاليون	Lord Scallion
اشيندون	Ashendon
ماري آن	Mary-Ann
اميلي	Emily
جورج كيمب	George Kemp
اينكومب	Encombe
ايمانويل كانت	Immanuel Kant

الفصل الاول

عند عودتى الى منزلى ذات يوم اخبرتنى مس فيللو صاحبة المنزل أن مستر الورى كير يريد أن اتصل به تليفونيا بمجرد حضورى. ثم قالت :

ـ اهذا الشخص هو الكاتب المعروف .. وهل تحب ان اطلبه لك ؟

فقلت :

ـ . لا . شكرا .

ـ وماذا اقول له اذا كرر الطلب ؟

ـ اطلبى منه أن يبلغك الرسالة التى يريدها .

ـ حسن جدا ياسيدى .

وكانت مس فيللو شغوفة بقراءة الكتب الادبية .. .وعندما عدت الى المنزل مرة اخرى ، وجدت مذكرة لى بان مستر كير طلبنى مرتين يستفهم عما اذا كنت استطيع تناول الغداء معه غدا .

فقلت فى نفسى : انى لم أره منذ ثلاثة شهور وفى آخر مرة كانت مقابلتنا ودية ، واعرب عند انصرافه انه يود ان نتقابل مرارا .. واردف ان لندن ملأى بالضجيج ، ويجد الانسان فيها صعوبة عندما يريد مقابلة من يريد .. وسال ان لم يكن لدى مانع أن اتناول الغداء معه فى الأسبوع القادم .. فقلت :

ـ يسرني هذا .

فقال :

ـ عندما أعود الى المنزل ساطلع على مفكرتى واحدد الوقت .

ـ حسن .

وكنت اعرف أن روى يحتفظ دائما فى جيب صدريته بمفكرة صغيرة يثبت فيها كل مواعيده .. وبعد أن آويت الى فراشى جعلت افكر : لم يريد مقابلتى ! ؟ ثم قلت في نفسي : قد تكون احدى المعجبات به طلبت منه ان يقدمنى لها ـ أو ان يكون احد اصحابه الأمريكيين الموجود الآن فى لندن قد طلب منه أن يجمعنى به . وانى اعهد فى ذكاء روى قدرته على التصرف فى مثل هذه الامور .. ونظرا لما أكنه من الحب والعطف لروى ، فقد لبيت طلبه .. انى كنت أنظر دائما الى نهضته فى عالم الأدب باعجاب ، اعتبره قدوة لامثالى من الادباء الصغار ، وهو يعلم ذلك عنى .. انه دءوب على العمل، فقد الف ما يقرب من ثلاثين كتابا .. انه يقتدى بتوماس كارليل . . وقال فى خطبة له فى احدى الحفلات :

(ان العبقرية ليست الا الاحتمال اللانهائى للآلام) .

بدأ روى حياته وله مميزاته الخاصة .. لقد كان والده من كبار الموظفين .. وكان يوما ما حاكما لاحدى المستعمرات فى هونج كونج ، ثم حاكما لجاميكا ، ولهذا فانك عندما تقرأ كتابه الاخير ((من هو)) تجد انه تلقى علومه فى نيوكولدج باكسفورد ، وكان رئيسا للاتحاد الرياضي له طريقته الاكاديمية المحترمة ، لا يحب التفاخر .. وعندما ترك الجامعة كانت سمعته طيبة جدا .. يميل للاقتصاد ، لا يحب المغالاة . كان ولدا بارا يعترف دائما لأبويه بما بذلاه من أجله فى سبيل تعليمه .. وعندما تقاعد والده اقام فى بيت متواضع قرب ستراود فى جلوستر ، ولكن لم يكن بيتا

حقيرا وكان يتردد على لندن من آن لآخر تلبية لبعض الدعوات التى يتلقاها من امثاله من حكام المستعمرات السابقين .. ولما اتم ابنه الدراسة في اكسفورد عين مدرسا لأحد ابناء اللوردات فاستطاع اذ ذاك ان يتعرف على اخلاق وسلوك الطبقة الارستقراطية بطريقة عملية ، وتجد هذا ظاهرا فى كتاباته عندما تحدث عن الوزراء واعضاء البرلمان والطبقة الراقية وافراد الأسرة المالكة وغيرهم .. وهو فى سلوكه العادى صديق صادق فى غير ابتذال او اسفاف ، وفى معاملته للناس يود أن يحفظوا له منزلته فهو يقاسمهم هذا الشعور فى تواضع .

وقد عرفته أول مرة بعد تركه التدريس ليكرس وقته لمهنة الأدب وقد كان اذ ذاك شابا لطيفا حسن الهيئة ، فارع الطول ، ذا عينين زرقاوين واسعتين تنمان عن الطهر ، ممتلئتين نشاطا ورجولة، يمارس الرياضة بنظام .. وقد طبع كتابه الاول فى وقت كان فيه الادباء عادة يمارسون مع الأدب رياضة الكريكيت ويغرمون بشرب الجعة .. وقد ذاع اسمه بينهم وقد أتقن كتابة قصته الاولى شانها شان كل ماصدر عنه من كتب ، وأرسل منها نسخا مصحوبة بكلمة الى كل كبار الكتاب اذ ذاك ، وذكر في كل رسالة اعجابه بالمرسل اليهم ، وأنه اقتدى بهم فى طريقة الكتابة ، وانه يود أن يعرف رأيهم فى القصة ليستضىء به فى المستقبل .. وقد كان لهذا أثره عند الكثير منهم فامتدحوا قصته .. كما أنه دعاهم لتناول الغداء وقد أعجبوا لصراحته وغيرته .

وقد لاقت قصته نجاحا كبيرا ومكنته من التعرف بالكثير من الادباء وكنت أينما ذهبت الى حفل شاى فى «بوزبيرى» أو كابيرون هيل أو ويستمنستر تراه بين الموجودين يتناول معهم الشاى فى حشد من الرجال والسيدات .. وكان ظريفا لطيفا يبتسم لنكات الآخرين مما حبب فيه كل من عرفه .. وكان يتردد على النوادى حيث يلتقى فى بدرومات اللوكاندات بشارع فيكتوريا أو هيلبورن بالادباء وشباب

المحامين وكرائم السيدات ، يتمشي معهم ويتبادل واياهم اطراف الاحاديث عن الادب والادباء ، وقد أتقن احاديث السهرة ، وكانوا يعتبرونه ((جنتلمان)) .

وكان يظهر اعجابه بكتابات غيره مهما هان امرها ، واذا ما وصله من احدهم قصة او كتاب للتعليق عليه فقلما كان يبدى انتقادا وبذلك كانت له عندهم حظوة .

ثم كتب قصته الثانية بعناية فائقة وقد استفاد من نصائح الكتاب ممن هم أكبر منه على آن قصته لم تصل الى الدرجة التى كانت تحول دون مهاجمة منافسيه .

لقد كان ((روى)) بشوشا مشمولا بعطف كل من يعرفه لانهم لم يروا فيه مزاحما لهم .. والآن وقد ذاع صيته فانهم نادمون على انهم قد ساهموا فى اظهاره .

ولم يتخل روى عن تواضعه مطلقا .. وهو لايجد غضاضة في أن يقول لك انى أعلم انى لست قصصيا عظيما .. وانى اذا قارنت نفسي بعمالقة الكتاب فانى ارى انى لاشيء ولكنى دائما كنت أتطلع الى الكمال في كتابة القصة .. وكل ما اطلبه من القارىء هو أن يقول عنى آنى بذلت ما استطيع من جهد ـ واعتقد ان بامكانى أن أقدم قصة طيبة .. واخيرا فان الذي يتذوق الأدب هو الذى يستطيع أن يحكم على درجة جودته فان قصة (عين الابرة) مثلا قد بيع منها ثلاثون الف نسخة في انجلترا ، وثمانون الفا في أمريكا وقد تقدم أكبر عدد من الناشرين يطلبون امتيازا لنشرها بأحسن الشروط .

وقد اعتاد روى أن يكتب ألى ناشرى قصصه يشكرهم على تقريظهم ويدعوهم ان يتناولوا الغداء معه .. فهو انسان متواضع لايفعل ما يفعله غيره عندما ينتقده احدهم فهو لايدير لهم ظهره كما يفعل الكثير منا ثم هو بعد ذلك لاينسى ان يبعث بخطاب مطول الى الناقد يبدى له اسفه لان القصة لم ترق فى نظره ، ولكنه على كل حال مقدر هذه الوجهة .

وهو اكثر الناس شغفا بعمل كل ما يفيده .. ويقول للناقد انه يرجو لو استطاع الحضور لتناول الشاى معه ، فى مطعم سافوى ليوضح له كل ما يجب معرفته وليس مثل روى من يستطيع تقديم الغداء الشهى من انواع الطعام الفاخر الذى ينسيهم اوجه النقد وبذلك تأتى القصة التالية حائزة على اعجاب الجميع ويصفونها انها خطوة كبيرة فى طريق التقدم .

ان الكاتب الناجح يستطيع دائما ان يجد اصدقاء جددا اما القدامى .. فانهم قلما يغيرون من نظرتهم فاذا لم يستطع الانسان ان يكون رهن اشارتهم فانهم يتصايحون ويقولون انه ينساهم ويتعالى عليهم .

وكثير من هؤلاء الاصدقاء القدامى اذا جلسوا اليك يشكون عدم انتشار كتبهم وان مديرى النشر لا يكلفون انفسهم قراءتها وعندئذ ترى انه يجب عليك ان تجاملهم .

ثم تذكر ما يصادفك من متاعب ولابد ان تقول ان هذا الجمهور متقلب فى آرائه ، وانه اذا اقبل على كتاب ما يوما فانه سيعرض عنه وقتا آخر .. ان الجمهور يظهر الصداقة ولكنه ناقد حر .

فاذا قلت لصديق ان هذا اول كتاب كتبته فسيقول لك انك كنت في سن العشرين وان كل صفحة من صفحاته تنطق بانك كنت مبتدئا .. ثم يقول : اعتقد انك لم تستطع الى الآن تحقيق ما وعدت به في كتابك الأول من محاولة التحسين ، فاذا حاولت الانصراف لتتركه وشانه تصبح فى نظره قليل الأدب .. واذا طلبت منه أن يتناول معك العشاء يوما ما فلابد أن تعده بانك ستكتب اليه اذ ذاك، وعند الانصراف ينظر اليك شزرا .. واذا اخذته الى فندق كلاردج فسيقول عنك انك متعاظم واذا ذهبت به الى ماهو اقل منه فسيقول انه مطعم حقير .

على أن روى كير لم يمر بهذه الظروف السيئة فهو لا يلقى بالا

لامثال هؤلاء الحاقدين وكان بصفة عامة طيب القلب يعطف على من ساء حظه من أصدقائه القدامى .. وعندما يلتقى باحدهم يظهر لهم انه يسره أن يساعده. وانه معجب بكتبه ويتمنى له النجاح .. غير أن احد أصدقائه كان يستاء من تجاهل روى له ، ويقول عنه انه كان فيما مضي يغتبط عندما يقاسمه قطعة اللحم في أحد المطاعم الصغيرة ، ويقضي شهر الاجازة في دكان أحد السماكين في سانت رايفيز وانه كان شخصا احمق .

والحق أن صديقه هذا كان مخطئا فى كل هذا ، فان اظهر صفات « روى » هى الاخلاص .. وكان عندما يصف اى طبقة من الناس كالطبقة العالية او المتوسطة يذكر عن كل منهما ما يثبت مقدرته فى الوصف دون تحامل او تحيز ، وهو اذا مادعا احد مادجيه للغداء معه فانه يعتقد انه لايقول الا ما يراه حقا ، وكذلك كان رأيه فى ناقديه يرى انه يستفيد من نقدهم .

« روى » كان المثل الطيب لما يجب أن يكون عليه المؤلف القصصي والكاتب الناجح يرتفع الى الذروة - لامانته - وابداعه وحذقه فى ربط ظروف القصة وابراز اغراضها ومراميها .

ثم كتبت مفكرة لمس فيللو وافرغت رماد غليوني وأطفأت المصباح وذهبت الى مخدعي .

الفصل الثانى

وعندما استيقظت من نومى صباح اليوم التالى .. قدمت لى مس فيللو مذكرة بان مستر الورى كير ينتظرنى فى النادى .

وكان هذا النادى هادئا وقورا .. وعندما دخلت تملكنى شعور غريب بان الأعضاء غائبون فى جنازة .. وتقدمت الى كبير الخـــدم وعندما ذكرت له اسم روى ، قادنى الى الممر الداخلى لأترك هناك عصاى وقلنسوتى .. ثم قادنى الى قاعة خالية مزينة ببعض صور ساسة العصر الفيكتورى .. ولما رآنى روى قام من مقعده وحيانى بحرارة وقال :

ـ اتحب ان تصعد مباشرة الى الدور العلوى ؟

وكنت على حق عندما توقعت انه لن يقدم لى كوكتيـــل اول ما وصلت .. ثم صعدنا على سلم انيق قد فرش بالأبسطة الجميلة ثم دخلنا غرفة الطعام المخصصة للضيوف غير الاعضاء ولم يكـــن فيها غيرنا .. وكانت نظيفة متوسطة الاتساع بيضاء اللون نافذتهـــا من طراز قديم وجلسنا بجوارها .. وبعد ان جلت بنظرى فيهـــــا تنهدت وتذكرت المطاعم الاخرى الزاخـرة التى فى نفس الشـــارع المحتوية على اطعمة فرنسية شهية ، حيث يقوم بالخدمة فيها فتيات جميلات فى ملابس الصيف .

ثم قال روى :

ـ انا افضل لحم البقر ولحم الخنزير .

فوافقت على ذلك .. ثم قال :

ـ ساقوم بنفسي بخلط السلاطة .

وبدا فعلا فى خلطها ثم القى نظرة سريعة على الاسعار وقال :

ـ ما رايك فى ان تاخذ بعد ذلك كشك الماز ؟

فقلت له :

ـ هذا جميل .

فبدا عليه الارتياح وقال للخادم :

ـ كشك الماز لشخصين .. قل للرئيس ان يختاره بنفسه .

ثم قال :

ـ والآن ماذا تحب أن نشرب .. ما قولك فى زجاجة من الهوك .. ان بالنادى نوعا جيدا منه .

ثم طلب من الخادم ان يرسل رجل البار ولم يفتنى ان الاحظ على روى وهو يلقى اوامره على الخدم كانما هو ملك يخاطب احد اتباعه .. ثم حضر رجل البار فى ادب وقدم له قائمة المشروبات ـ فحياه روى بايماءة من راسه ـ وقال له :

ـ هالو يا ارمسترونج .. انا نريد شراب الليبفروميلش .

ـ حسن يا سيدى .

ـ اعندك منه ما يكفى .. انت تعلم اننا لانستطيع الحصول على الكثير منه بعد ذلك ؟ .

فقال :

ـ اخشى ان اقول لا .. ياسيدى .

ثم نظر روى بتظرف الى ارمسترونج الذى يعرف ان روى يريد من هذه الملاحظة ان ينتظر تعليقا .. وضحك روى وتلاقت نظرته بنظرتى .. ثم قال :

ـ ان ارمسترونج رجل طيب .. احضر الشراب يا ارمسترونج مثلجا جدا كما تعلم ولكن بدرجة معقولة .

ثم نظر الى وقال :

ـ ان ارمسترونج هنا منذ ثمانية واربعين عاما .. وان هـذا المكان هادىء وجميل .. انا لم احضر هنا منذ زمن طويل .

فقلت :

ـ ان المكان مناسب نوعا ..

فقال :

ـ تماما .. انه يتمشى مع نوع الحياة التى نحياها .

لقد كان روى مثالا للصحة الكاملة وقد كان شعره مجعـدا وخطه الشيب . وقد اضفى على وجهه الساذج الذى لفحته الشمس بعض الجدة والشباب .. فبدا اصغر من سنه .. ذا عينين وضاءتين صريحتين ولم يكن الآن من النحافة التى كان بها وهو صغير .. وعندما يجلس فى مقعده يجلس بانتباه لاتغرب عنه اى مسالة ، فاذا حدثك في احداث الساعة تكلم بطلاقة وسهولة دون انفعال .. وها هو ذا يتكلم فى شتى الأمور عن اصدقائنا العاديين .. وعن احدث الكتب وعن الأوبرا وهو فى كل هذا يبدو خفيف الروح ، جم الادب .. ولكن ادبه فى ذلك اليوم قد رابنى ، فقد ذكر اننا لانلتقى الا قليلا .. وذكر فى بساطة حبه واعجابه بى .. وشعرت انى يجب ان اشاطره تلك المجاملة .. ثم سالنى عن الكتاب الذى اكتبه الآن .. فوجهت اليه مثل هذا السؤال .. وقال كل منا لصاحبه اننا لم نصـل الي النجاح المرجو .

ثم انتظرت بعد ذلك اثارة الموضوع الذى جئنا الى هـــذا المكان من اجله ، وكنت اشعر انه لابد ان يكون فى الأمر شىء .. ولولا علمى بأن حالته المالية حسنة لظننت انه ربما كان يريد اقتراض بعض النقود .. ولاحظت ان الغداء قد انتهى دون ان تتاح له الفرصة

فى قول مايريد لأنه كان شديد الحذر .. ربما بدا له أن يقصر هذه المقابلة على تجديد الصلة التى كانت قد فترت ..

ثم قال :

ـ اترى أن نذهب لشرب القهوة فى الغرفة المجاورة ؟

ـ اذا أردت ذلك .

ثم تبعته الى الغرفة الاخرى وكانت أوســـع .. وبها بعض المقاعد الكبيرة الجلدية .. وعلى مناضدها جرائد ومجلات .. وكان فى احد اركانها شخصان يتسامران ألقيا علينا نظرة عابسة .. ولكن ذلك لم يمنع روى من أن يحييهما تحية لطيفة .. وقال :

ـ هالوا جنرال ..

وكنت اثناء ذلك أقف عند النافذة ألقى نظرة على الشارع .. ثم قال :

ـ ماذا عسى ان ناخذ بجانب القهوة ـ النبيذ ؟

ولما اعتذرت ألح في ذلك وكنت أعرف ان نبيذ هـذا النـادى يتمتع بشهرة كبيرة .

ثم جلسنا الى جانب الموقد الانيق ـ ندخن السيجارة وبعـد برهة قال :

ـ عندما حضر ادوارد دريفيلد الى لندن آخر مرة تناول معى الغداء في هذا النادى .. وقدمت له هذا النبيذ واعجبه فعـلا .. وقد كنت هذا الأسبوع مع ارملته فى عطلة نهاية الأسبوع .

فقلت له :

ـ هل كنت عندها ؟

ـ انها كلفتنى ان ابلغك تحياتها .

ـ انه تفضل منها .. لم أكن اعتقد أنها تفكر فى .

ـ انها تفكر فيك .. وتقول انك تغديت عندها منذ ٦ سنوات .. اليس كذلك ؟ انها تقول انها ودريفيلد كانا يحبانك ! !

ـ انا لأعتقد انها تقول ذلك .

ـ انك مخطيء تماما..ان زوجها كان يضايقه كثرة من يرغبون في لقائه وكان عليها ان تحافظ عليه .. انها كانت تخشي عليه دائما من كثرة العمل .. انك لتعجب اذ تعلم انها كانت ترعاه الى ان بلغ الرابعة والثمانين وقد كان في وعي تام .. انى كثيرا ما أراه بعد وفاته .. لقد اصبحت فى وحدة موحشة .. لقد قضت فى خدمته خمسا وعشرين سنة وانى لأرثى لحالها .

فقلت :

ـ انها مازالت صغيرة فى سن تسمح لها بالزواج .

ـ لا انها لاتفعل ذلك .

ثم توقفنا برهة عن الكلام اثناء شرب النبيذ .. ثم قال :

ـ انك احد القلائل الذين عاشروا دريفيلد قبل ان يذيع صيته.. لقد عرفت عنه الكثير .. فى يوم من الايام ـ أليس كذلك ؟

قلت :

ـ الى حد ما فلقد كنت اذ ذاك صغيرا عندما كان فى مقتبل العمر اعنى اننا لم نكن ندين متكافئين .

ـ قد يكون ذلك .. ولكنك على كل حال تعرف عنه مالا يعرفه سائر الناس .. !

ـ ربما كان ذلك .

ـ الم تفكر يوما ما في كتابة مذكراتك عنه ؟

ـ نعم ..

ـ الا ترى انه يجب عليك ان تفعل هذا ؟ لقد كان من اعظم

كتاب القصة فى ايامنا !! وكانت كتاباته فى اواخر العصر الفيكتورى، وكانت شخصيته عارمة .. وتمتاز قصصه بالبقاء كمثيلاتها التى ظهرت فى المائة سنة الأخيرة .

ـ عجبا ـ لقد كنت اراها مملة .

فنظر الى روى ساخرا ... وقال :

ـ وكيف ترى هذا . ؟ . انك على أى حال يجب أن تعلم ان رايك هذا هو راى الاقلية ولا اخفى عليك انى قرات كتبه مرة ومرات .. وكلما عاودت قراءتها استشعرت جودتها .. الم تقرا ما كتب عنه عند وفاته .. ؟ .

ـ قرات بعضه .

ـ ان اجماع الآراء كان عجيبا .. لقد قرات كل ما كتب عنه.

ـ اذا كانت آراء الجميع واحدة .. افلا يكون هذا أمرا لا معنى له ؟

فلم يجب روى على ذلك مكتفيا بهز كتفيه العريضتين ، ثم قال :

ـ ان جريدة التايمز كانت رائعة .. تحبب اليك قراءة قصص دريفيلد واعتقد انه سيكون موضوع ملحقها الاسبوعى القادم .

ـ ولكنى مازلت ارى أن قصصه مملة .

فابتسم روى ابتسامة رقيقة ... وقال :

ـ ألا تشعر بالحرج اذا رايت أنك تخالف الاجماع ؟

فقلت :

ـ لا .. انى اكتب القصة منذ خمسة وثلاثين عاما .. وكم من الكتاب من اشتهر امره ثم لا يلبث أن يخمد ذكره ويذهب الى حيث لا ادرى ؟

ـ نعم انهم كالشرارة كالبرق الخلب ـ اعرفهم .

ـ هل حاضرت عنهم ؟

ـ نعم حاضرت عن واحد منهم ان بعضهم لا يستحق شيئا ، وبعضهم يجب ركله ، ولكن دريفيلد لم يكن احد هؤلاء فقد بلغت مؤلفاته سبعة وثلاثين كتابا ، وآخر مجلد (بيع بخمســة وسـبعين جنيها) فى سوفياى .

وهذا دليل قاطع على جودة تلك الروايات ، واما كتبه فقـد كان الاقبال يزداد عليها فى الأسواق .. وكان كتاب السنة الماضــية افضلها .. لك أن تثق بكلامى .. لقد اطلعتنى مسز دريفيلد على حساباته عندما كنت عندها آخر مرة .. وكانت حالة دريفيلد المالية حسنة .

ثم سكت روى برهة وجعل يتأمل فى قاع فنجانه ـ هل بقى به شيء من القهوة . ؟ . او انه يريد أن يقول شيئا .. لم أعرف بالضبط ولكنى ألقيت نظرة على الساعة التى فوق الموقد .. ويبدو انه لاحظ ذلك فقال :

ـ لا أستطيع أن أرى كيف تجحد وجود مميزات فى انسان ظل يعمل الى السنين من عمره يؤلف الكتاب تلو الآخر وقد اســتطاع ان يحتفظ بمجهوده المتزايد وعلى كل حال فان فى فيرن كورت ارففا كثيرة تحوى كتب دريفيلد مترجمة الى لغات أخرى .. حقا ان بعض ماكتبه يبدو انه لا يتمشي مع العصر الحديث ، وقد ازدهرت كتاباته في عصــور رديئة ، وكان يحسن ان تطوى ، ومعظم رواياته كانت من النوع الميلودراتيك (تتخللها فصول مخـــزية) غير ان فيها من الجمال مالايمكن اغفاله .

قلت :

ـ نعم

ـ والمهم في كل ما يقال أن دريفيلد كان متأثرا بالجمال فيما يكتب .

قلت :

ـ نعم

ـ وكنت اتمنى لو كنت معنا يوم ذهبنا اليه لنقدم له صورة بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره .. انه كان يوما تذكاريا بحق .

ـ لقد قرأت عن ذلك في الصحف .

ـ ليس الصحفيون وحدهم هم الذين قالوا ذلك .. ولكن العلماء والساسة ورجال الأعمال والفن .. وكل العالم قد قال ذلك ـ وكذا المحتفلون .. عند خروجهم من القطار في بلاكستابل ليحتفلوا بعيد ميلاده .. لقد كان واقفا عندما تقدم اليه رئيس الوزراء واهداه وسام الاستحقاق ، وقد القى خطبة طيبة ذرفت لها دموع الكثيرين في ذلك اليوم .. وأخذت صورة للحفل .

ـ هل كان دريفيلد من ضمن الباكين ؟

ـ لا .. انه كان هادئا تماما كعادته ، خجولا كما تعرف ، ولقد ارادت مسز دريفيلد الا يجهد نفسه ، ولما ذهبنا للطعام استبقته في مكتبه واخذت اليه الغداء هناك .. فكان يدخن غليونه ويتأمل صورته وعندما سألته عن رايه فيها ابتسم ولم يجب .. ثم سال عما اذا كان يستطيع خلع طاقم أسنانه .. فقال : لا لأن الناس سيحضرون للسلام عليك قبل الانصراف .. ثم سألته عن رأيه في الحفل فاجابني بقوله : أريد أن أتناول بعض الروم . والحقيقة أن دريفيلد كان في آخر أيامه متعبا محطما يكثر من الاكل والتدخين لايعتني بزيه .

ثم قلت لروى :

ـ أريد ان استاذن في الانصراف .. وشكرا لك على هذه المقابلة .

فقال :

ـ انا ذاهب الى المعرض الخاص فى ليستر جلاريز لانى اعرف بعض المترددين عليه وانى مستعد لاستصحابك اذا رغبت .

فقلت :

ـ هذا جميل منك ولكنى تلقيت دعوة ولا أريد الذهاب .

ثم هبطنا السلم وأخذت قبعتى ولما خرجنا الى الطـــريق ، واتجهت صوب بيكاديلى قال روى :

ـ اريد أن احدثك فى أمر .

وتقدم نحوى وقال :

ـ هل تعرف زوجته الأولى ؟

ـ نعم

ـ من ؟

ـ زوجة دريفيلد .

ـ أوه لقد نسيتها .

ـ حسن .

ـ اتذكرها قليلا . !

ـ أعتقد انها كانت فظيعة .

ـ لا اعتقد ذلك .

ـ ان أمها كانت سوقية وكانت خادمة فى بار اليس كذلك ؟

ـ بلى .

ـ انى لادهش كيف تزوجها ، لقد علمت انها لم تكن أمينة الى اقصى حد . . .

الا تذكر كيف كانت سيرتها ؟

ـ نعم اذكر ذلك جيدا ..

ثم ابتسمت وقلت :

ـ لقد كانت جميلة .

فضحك روى وقال :

ـ ليس هذا ما اريده .

فلم اجبه .. ثم وصلنا الى بيكاديلى ووقفنا .. ومددت اليه يدى فسلم ، ولكن بفتور ، فادركت أن المقابلة لم تكن على مايرام.. ولم أدر السبب . ولكنى كنت عازما على أن افعل كل ما يطلبه منى .. غير انه لم يعطنى أى فكرة عما يريده .. ثم سرت حتى وصلت الى شارع هاف سووف .. ورايت ان مسلكى معه لم يكن ملائما اذ يبدو أن روى كان يريد منى معروفا .. ثم واصلت السير حتى بلغت منزلى .

لقد كانت مس فيللو صاحبة المسكن طباخة فى بيوت كبيرة.. ولم نكن نراها عندما كانت تخرج لشراء لوازم المطبخ .. انها سيدة شقراء ترتدى مريلة كسائر الطباخات نظيفة الملبس ، أنيقة فى مقتبل العمر ، حسنة التقاطيع ، وحريصة على ان تصبغ شفتيها باللون الأحمر ، وتضع على عينيها نظارة .

وكانت الغرفة التى استأجرتها منها فى الطابق العلوى .. ومزينة حوائطها بالالوان الرومانتيكية .. وفى الزهريات المنتشرة هنا وهناك بعض الزهور واصناف نباتات اخرى من ذات الساق الطويل، وكانت المقاعد مكسوة بالجلد الباهت ومنظر الغرف يعود بك الى القرن الثامن عشر .

الفصل الثالث

كان لدى كثير مما يجب ان اقوم به اليوم ولكن حديثى مسح روى .. وما احسست به في اليوم الذى سبقه .. وكذلك غرفتى تثير فى نفسى كلما دخلتها نوعا قويا من الاحساس لا اعرف كيف اسميه . انها تجر افكارى الى الذكريات القديمة .. وجمال ايام شهر يونيو التى حركت فى نفسى اشجانا لم تكن على اية حال قاسية .. وبدا لى أن الماضى الذى إتصوره قد غدا اشبه مايكون بفصل فى رواية انظر اليه مع الناظرين الروائيين من أعلى مدرج مظلم على أن كل شىء امامى كان واضحا وضوحا تاما .. كلوحة زيتية لمنظر خلوى رسمها فنان ماهر من فنانى عصر فيكتوريا .

انى اتصور الحياة الآن اكثر بهاء عما كانت عليه قبل اربعين عاما .. واشعر أن الناس الآن أظرف من سلفهم .. ربما كان الأولون اكثر قيمة .. وأشد تمسكا بالفضائل واكثر معرفة بكثير من المعلومات الواجب معرفتها .. وان كنت اشك فى هذا .. والذى اعرفه انهم كانوا أكثر جفوة ، يحبون أن ياكلوا ويشربوا كثيرا لايمارسون الا القليل من انواع الرياضة ، ولذلك كانت اكبادهم رديئة ومعداتهم عليلة .. كانوا سريعى الغضب ولا اقول هذا عن اهل لندن الذين لم أكن اعرف عنهم شيئا الى أن كبرت . كذلك لا اتكلم عن العظماء الذين يذهبون الى الصيد والقنص .. ولكنى اتكلم عن أهل الريف وعن الطبقة المتوسطة .. ورجال الدين والضباط المتقاعدين وامثال هؤلاء ممن يتكون منهم مجتمعنا .

وقد كنت اقيم مع عم وعمة في ضواحي احدى مدن كوفنتشير بجوار البحر في بلدة اسمها بلاكستابل وكان عمى راعى كنيستها.. وكانت عمتى المانية ... تنحدر من عائلة ارستقراطية ولكنها فقيرة .. وكل ما أحضرته لزوجها عند الزواج كان مائدة صغيرة مطعمة بالعاج مما كان يستعمل في القرن السابع عشر .. وطقما من الكئوس لم يبق منه الا القليل تراه عندما تدخل من الباب .. وكانت عمتى من طراز السيدات المتدينات ـ اما بلاكستابل فهى مدينة صغيرة بها شارع طويل متعرج وعلى جانبه كثير من المحلات التجارية والمنازل .. وتتفرع منه شوارع اخرى أقل اتساعا تمتد من البحر الى آخر حدود المدينة ، وكان على الشاطىء بعض الأكواخ التى يسكن فيها عمال مناجم الفحم الذين يفدون من نيوكاسل .

وفى هذه المدينة كان اول لقائى بادوارد دريفيلد ـ وكنت اذ ذاك في الخامسة عشرة من عمرى في أجازة صيف .. وفى صباح أحد الأيام أخذت منشفة ولباس البحر وتوجهت الى الشاطىء للاستحمام .. وكانت السماء صافية والجو حارا .. وتقع بلاكستابل على بحر الشمال ، وأكسبها موقعها بهاء وجمالا اما فى الشتاء فكان أهلها يقبعون فى منازلهم ليتجنبوا هبوب الرياح الشرقية الباردة .. ويتكلم اهلها الانجليزية بلهجة خاصة .. اصحاء البنية .. زرق العيون بارزو عظام الخدين .. شعرهم خفيف .. على جانب كبير من الذكاء والاستقامة والصراحة ، ولم يكن بالمدينة عربات تذكر للتنقل وذهبت الى الشاطىء لأسلم على احد اصدقاء عمى .. ولما قابلته وقفنا وتبادلنا التحية وكان برفقته شخص لا أعرفه ولم يقدمنى له ... وكان هذا الضيف ضئيل الجسم ذا لحية يلبس بذلة زاهية اللون وبنطلونا قصيرا وجوربا أزرق كجوارب البحارة وحذاء أسود وقبعة من الطراز المستدير .. يطلق عليها بيللى كوك .. وكان هذا الطراز من الملابس قليل الانتشار في ذلك الوقت (وهو البنطلون القصير) ولم يكن يلبسه الا حارس المرمى في ملعب

الكرة .. ولقد امتعضت لمظهره الذى يدل على البساطة وعدم الاحتشام والخلاعة .. اما أنا فقد كنت ارتدى بنطلونا من الفانلا البيضاء وقميصا ازرق عليه شارة مدرستي فوق الجيب الأيسر.. وقبعة من القش الأسود والأبيض ذات حرف عريض .. ثم قال صديق عمي وهو قس فى الكنيسة ان عليه أن ينصرف الآن وكان ذلك من حسن حظى لأننى تورطت فى هذه المقابلة ولم أكن أعرف كيف أتخلص منها .

اما الشخص الغريب .. فقد أومأ برأسه مسلما ثم انصرفا ولكنى ألقيت عليه نظرة متحجرة .. وقد خيل الى انه من الصينيين .. الذين يتجنب أهل المدينة الاختلاط بهم .. وكنا نرى فى أهل لندن انهم أناس مبتذلون لا نستريح لترددهم على مدينتنا كل عام .. ولكن حضورهم كان يحدث رواجا للمدينة ، وعلى الرغم من هذا فكنا نشعر بالراحة عندما يأتى شهر سبتمبر وينزحون عنا وتعود بلاكستابل الى هدوئها العميق .

وعندما عدت الى المنزل للعشاء أخبرت عمى أن القس سيحضر بعد الظهر وعندئذ قال عمى :

ـ ان مستر شيبرد قد توفي الليلة الماضية ـ (وذلك تفسير لسبب حضور القس) .

وكان اسم القس ـ جلاوى .. وكان طويل القامة نحيف الجسم يتكلم بسرعة وكثير الاشارة بيديه فى أثناء الحديث .. وهذا مايجعل الناس ينظرون اليه بغرابة ولم يكن عمى يحب الاحتفاظ به ولكنه كان نشطا وكان عمى شديد الخمول .. وبحاجة الى من يحمل عنه أعباء العمل الكثير .. ولما انتهى من العمل الذى من أجله حضر الى الابرشية .. دخل ليسلم على عمتى التى طلبت منه البقاء وتناول الشاى ولما جلس قالت له :

ـ من ذلك الرجل الذى كان معك صباح اليوم ؟

فقال :

ــ أوه هذا ادوارد دريفيلد .. انى لم اقدمه له .. لأن عمه قد لا يوافق على ذلك .

فقال عمى :

ــ لو حصل هذا لكان امرا ممقوتا جدا .

فقالت عمتى :

ــ انه ليس من اهل بلاكستابل .. اليس كذلك

فقال عمى :

ــ انه من مواليد دائرة الابرشـــيه .. وكان والده من رجال الكنيسة .

ثم قال مستر جلاوى :

ــ وتزوج بفتاة من بلاكستابل .

فقالت عمتى :

ــ اظنه تزوجها في الكنيسة .. هل صحيح ما يقال من انها كانت تعمل في بار في مطعم ديل واى ارمز .؟

فقال مستر جلاوى فى ابتسامة :

ــ يبدو عليها أنها كانت كذلك .

ــ أيريدون البقاء طويلا فى بلاكستابل ؟

فقال جلاوى :

ــ نعم . على ما أظن .. انهم استاجروا منزلا فى هذا الشارع.

فقال عمى :

ــ هل يحضر الى الكنيسة ؟

فقال مستر جلاوى :

ــ أنا في الواقع لم أحدثه في هذا للآن ؟ انه كما تعرف رجل متعلم جدا ..

فقال عمى :

ـ لا اكاد اصدق هذا .

ـ لقد سمعت انه سيىء الخلق .

فقلت :

ـ انه لايظهر عليه انه بحار .

ـ اوه لقد ترك البحر منذ زمن طويل وقام باعمال كثيرة منذ ذلك الوقت الى الآن .

فقال عمى :

ـ انه زاول كل المهن ولكنه لم يتقن ايا منها .

ـ الآن عرفت انه كاتب .

فقال عمى :

ـ انه لن يستمر كثيرا فى ذلك .

فقلت :

ـ انا لم يسبق لى أن عرفت كاتبا قبل الآن .. وانا اشتاق الى ذلك .

ثم قال عمى :

ـ ماذا؟ يكتب ؟ كتبا ؟

فقال القس :

ـ أعتقد ذلك ومقالات أيضا .. لقد ظهرت له قصة في الربيع الماضي ووعدنى بانه سيعيرها لى .

فقال عمى :

ـ لو كنت مكانك ما أضعت وقتى فى هذا الهراء .. ولم يكن عمى يقرأ شيئا سوى جريدتى التايمز والجارديان .

فقلت :

ـ ما اسم القصة ؟

ـ انه اخبرنى بعنوانها .. ولكنى نسيت ..

فقال عمى :

ـ على كل حال لا داعى لان تعرف ـ انى أعارض فى قراءتك لاى قصة تافهة . وخير ما تفعله فى مدة الاجازة أن نقضيها فى الهواء الطلق واظن ان لديك مهمة مدرسية فى الاجازة .

فقلت :

ـ نعم .. انها قصة ايفانهو .. لقد قراتها منذ كنت فى العاشرة .. ولا استطيع اعادة قراءتها ثانية وكتابة موضوع عنها .. ان ذلك يضايقنى جدا ..

ـ وعندما اتامل العظمة التى وصل اليها ادوارد دريفيلد بعد ذلك .. يتملكنى العجب من الطريقة التى نوقش بها أمره على مائدة الطعام مع عمى .. ولما مات من وقت غير بعيد وناقش المعجبون به أمر دفنه فى دير ويستمنستر .. كتب خلفاء عمى فى بلاكستابل .. الى الديلى ميل ، يقولون : ان دريفيلد من مواليد ابرشية بلاكستابل ..وقد قضي فيها الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته.. وفيها وضع كثيرا من اشهر كتبه ويجب أن تستقر عظامه فيها مع عظام أبيه وأمه .. وقد استراح أهل بلاكستابل للقرار الذى أصدره رئيس دير ويستمنستر برفض دفنه هناك .. وقد أرسلت اذ ذاك أرملته خطابا للصحف تشكو هذا الظرف .. لأن زوجها قال لها ان من أعز امانيه أن يدفن مع عشيرته الذين عاش بينهم واحبهم كثيرا .. ولا أعرف ان كان أعيان بلاكستابل الآن يستريحون الى ما وصفهم بـه دريفيلد من انهم بسطاء .

الفصل الرابع

لقد دهشت لوصول خطاب لى من أرملة إدوارد دريفيلد بعد ثلاثة أيام من لقائى مع روى كير .. هذا نصه :

« صديقى العزيز ..

لقد علمت أنك تحادثت طويلا مع مستر روى عن ادوارد دريفيلد وقد سرنى ما علمته من ان الحديث كان طيبا ، أنه كثيرا ما تكلم عنك معى . لقد كان شديد الاعجاب بمواهبك .. يسر عندما كنت تحضر عندنا لتناول الغداء .. ولا أدرى ان كان لديك شىء من الخطابات التى كان يرسلها اليك .. وان كان كذلك فهل يمكننى الحصـــول على صور منها ؟ قد يكون من دواعى سرورى ان تستجيب الى رجائى بالحضور عندنا بضعة أيام .. انى الآن اعيش عيشة هادئة ليس معى احد وأرجوك أن تختار الوقت الذى يناسبك لنتحـــدث عن الأيام الماضية .. انا محتاجة الى مساعدتك فى أمر معين .. ولى كبير الأمل فى الا ترفض طلبى اكراما لذكرى زوجى العزيز الراحل ».

المخلصة

ايمى دريفيلد

انى رأيت مسز دريفيلد مرة واحدة ولقد ارتحت الى رؤيتها .. وانى لا احب أن تخاطبنى بكلمة « صديقى العزيز » .. لأن هذا وحده يجعلنى أحجم من اجابة طلبها .. فليس لدى خطابات مــن دريفيلد .. ربما كنت تلقيت منه بعضها من بضع سنوات ولكن لم

يكن فيها ماله أهمية وكذلك فانى لم أكن أتوقع انه سيأتى يـــوم يطلق عليه فيه انه اعظم كتاب العصر والذى يدفعنى الى التردد فى الذهاب أيضا ما ذكرته مسز دريفيلد انها تريدنى لامر معين فقـد يكون هذا أمرا لا احبه .. على انه قد يكون من الحماقة الا اذهب.. وفوق هذا وذاك فان زوجها كان رجلا ممتازا شهيرا .

ولقد وصلنى الخطاب فى البريد الاول .. وبعد الافطار طلبت روى فى التليفون ويبدو انه كان يتوقع هذا ـ فقد اجابنى بصـوت يفهم منه ذلك .. وقلت :

ـ أرجو الا اكون قد أيقظتك من النوم ؟

فقال :

ـ عفوا .. لا .. وانى الآن اتناول افطارى .

فقلت :

ـ لقد وصلنى خطاب من مسز دريفيلد تطلب منى ان اذهب اليها واقيم عندها بضعة أيام .

فقال :

ـ نعم لقد علمت ذلك منها ..

فقلت :

ـ ما هو الشىء الذى تريدنى من اجله ؟

فقال :

ـ اعتقد انها تود ان تخبرك به شخصيا ـ أانت مشغول .. ثم صمت برهة وقال : اانت مشغول هذا الصباح فاننى اود الحضور اليك ؟

ـ لست مشغولا .

ـ حسن .. ساحضر اليك بعد ساعة .

ثم وضعت السماعة واشعلت غليونى ثم القيت على خطـاب مسز دريفيلد نظرة ثانية .. وتذكرت الغداء الذى اشارت اليه .. فقد كنت مرة فى نهاية احد أيام الأسبوع فى مكان بعيد مع سيدة اسمها ليدى هودمارش .. وهى أمريكية تزوجت من احد البارونات الرياضيين .. وكانت احيانا من باب دفع السأم عن نفسها تستضيف بعض الفنانين وتقيم سهرات مرحة .. وان كان من يحضر اليها من الاشراف والنبلاء يجدون غضاضة في ذلك بسبب وجود بعض الفنانين من الكتاب والرسامين والممثلين .. على انها لم تكن تقرا كتب من تستضيفهم وكل مافى الأمر انها كانت تستريح لهذا الجو الفنى .. وعندما جاءت مسز دريفيلد وعلمت منى أنى أعرفه دعتنى الى الغداء معه ولم أكن قد رأيت دريفيلد من مدة طويلة وربما كان لايسر لوجودى .. ولكن الحفل الذى كنت ساذهب فيه عند السيدة الأمريكية كان لأحد اعضاء مجلس الشيوخ ، لورد سكالون ـ الذى كان مولعا بالادب أكثر من ولعه بالسياسة وكان يحب القصص البوليسية واحب دريفيلد الى درجة كبيرة ، وكانت احدى الأديبات ضيفة الشرف ثم اخـذنا وذهبت مع ليدى هيد ولورد سكالون الى منزل دريفيلد فى بلاكستابل وكانت حجرة الاستقبال مؤثثة تأثيثا جميلا .. ولم تستطع الدوقة أن تخفى اعجابها بها وبجمال تنسيقها وما بها من تحف تليق لمن يحب أن يختلى الى نفسه يكتب قصصه ولقـد احسنت مسز دريفيـلد لقاءنا وبعد التعارف المعتاد .. دخل ادوارد دريفيلد وقد كنت أرى لـه صورا كثيرة فى الصحف ولكنى لم اتمالك الشعور بالأسف عندمـا رأيته شخصيا .. فقد كان أصغر حجما مما كنت اتصوره وانحف .. وكان حليق الشارب واللحية يشرته شفافة وقد اصفرت عيناه .. وشحب لونه وبفمه اسنان صناعية ناصعة البياض .. يرتدى بذلة جديدة من القماش السيرج ـ صنعت بمهارة ـ وقد ظهر منها عنقه النحيل المجعد المتدلى منه رباط أسود محلى بحجر من اللؤلؤ . والقت عليه مسز دريفيلد لدى دخوله ابتسامة تشجيع ثم قدمته

الى الضيوف وسلم على الجميع واحداً واحداً .. ولما وصل الى قال :

ـ انه لجميل من شخص مشغول مثلى أن يحضر لزيارته قاطعا هذه المسافة الطويلة ليرى عجوزا من الطراز القديم .

فأذهلنى ذلك وخشيت الا يكون قد عـرفنى وخشـيت ان يظن زملائى الذين حضرت معهم انى كنت أدعى معرفته من باب التفاخر.

وقلت فى نفسى ربما كان قد نسينى .. ثم نظر الى بضع ثوان خلتها مدة طويلة وما لبث ان نظر الى نظرة رقيقة ربما لم يلحظها احد غيرى .. ثم عاد الى حالته الطبيعية .. وبعد قليل دخلنا قاعة الطعام وجلس المضيف والمضيفة على رأس المائدة ، أما انا فقـد ركزت نظرى على مستر دريفيلد الذى كان يتكلم ايضا مع ليدى مارس عن القصة وكيفية كتابتها .. وكانت تسمع اليه فى ارتياح وترد بهدوء بين لحظة واخرى ..

بعد ذلك تجولنا فى المنزل ودخلنا غرفة المكتب التى كان دريفيلد يكتب فيها قصصه وبعد أن أظهرنا اعجابنا بما رأينا .. قالت مسز دريفيلد مبتسمة :

ـ اتحبون أن تروا أحد مخطوطاته ؟

فقالت الدوقة :

ـ نعم .

ثم ظللنا نتأمل بعض المخطوطات التى قدمتها مسز دريفيلد .

وبعد ذلك ودعنا مضيفينا وانصرفنا .. وعند الانصراف قالت ليدى هودمارش ـ لقد سررت عندما عرفت من مستر اشـندن انه يعرفك من سنين طويلة فهل كان اذ ذاك ولدا لطيفا .

فنظر الى دريفيلد برهة بنظرته الساخرة التى تدل على أنه لو لم يكن فى المكان غيرنا لسحب لسانه على ثم قال :

- انه خجول .. لقد علمته كيف يركب الدراجة .

ثم اتجهنا بعد ذلك الى السيارة الرولز وقالت الدوقة عنه انه لطيف جدا .. لقد سررت لرؤيته ثم قالت ليدى مارش :

- ما رأيكم فى مسز دريفيلد .. أعتقد انها تعمل لمصلحتها .. انه رجل عجوز ويجب ان يكون معه من تعنى بأمره .. انها كانت ممرضة فى مستشفى ..

فقالت الدوقة :

- انا أعتقد أنها كانت سكرتيرة تكتب على الآلة الكاتبة .

فقالت ليدى هودمارش :

- انها لطيفة جدا .

فقلت :

- نعم .. جدا .. لقد مرض مرضا شديدا منذ ثلاثين عاما وكانت تمرضه وبعد أن تحسنت صحته تزوجها .. ان الرجال امرهم عجيب . لابد انها كانت أصغر منه سنا لن تزيد عن الاربعين او الخمسة واربعين عاما .. وقد علمت أنها عملت الكثير من أجله .. وهى التى صنعت منه رجلا محترما .. وانه قبل ذلك كان رجـــلا بوهيميا والمعروف دائما عن زوجات المؤلفين .. انهن فى الغالب غير نظيفات ومن العجب انهم لايعرفون ذلك .. انهن تعسات .. انهن يقاسين من الغرور الذى يعجب الناس .

ثم وصلنا الى محطة تيركانبرى وتخلفت الدوقة وواصلنا السير بالسيارة .

الفصل الخامس

لقد كان ما قاله ادوارد دريفيلد من انه علمني ركوب الدراجة صحيحا .. لأن ذلك كان سبب تعارفنا ... اذ انى اشتريت دراجة للذهاب بها للمدرسة اسوة ببعض زملائى التلاميذ .. وفي يوم ما عندما كنت أتمرن على كيفية ركوبها فى الطريق – مر بى دريفيلد وزوجته .. ولما رآنى سألتنى زوجته عما اذا كنت احسن الركوب .. فخجلت – وقلت :

– ان هذا اول يوم أتمرن فيه .

فقالت مسز دريفيلد :

– ان زوجها مستعد لتعليمى .

وفعلا انتحينا جانبا ثم ترك دراجته وجعل يعلمنى ويسندنى بينما كنت اركب واتمايل يمينا ويسارا حتى تعبنا .. وبعد فترة ليست طويلة استطعت الاعتماد على نفسي ثم عرفت بعد ذلك ان هذا الشخص هو ادوارد دريفيلد المؤلف المعروف وان هذه السيدة زوجته .. ثم عرفت انى ابن اخ رئيس الكنيسة وقال لى انه رآنى قبل ذلك بيومين مع القس جلاوى ولدى انصرافهما سلمت على مسز دريفيلد وضمت يدها الدافئة على يدى وابتسمت ابتسامة اخجلتنى ولم أتفرس فى وجهها وكل مالاحظته انها كانت امرأة شقراء تلبس جلبابا من الحرير الازرق .. ثم قالت :

– اظن انك تحب ركوب الدراجات ؟

فقلت :

ـ انى ما زلت اتمرن على ذلك .

ولما توجهت الى المنزل لم أذكر ذلك لعمى وعمتى .. وفى اليوم التالى خرجت بالدراجة وجعلت اروح واجىء فى الطريق منتظرا قدوم دريفيلد وزوجته الى ان قدما وسرنا معا وهنا قال مستر دريفيلد :

ـ انك الآن اتقنت الركـــوب ويمكننا ان نخـرج الى مســـافات بعيدة لبضعة اميال .

فوافقت ثم قال :

ـ ساحضر لك بعض الورق وهل تسمح ان تعمل معنا فى تنظيف الادوات النحاسية فى الكنائس لاننا نفعل ذلك من وقت لآخر .

ثم القت مسز دريفيلد على نظرتها العميقة المرحة المعتادة فاحمر وجهى خجلا وكنت اعلم ان عمى لن يوافق على ذهابى معهما الـى الكنائس .. وفضلت عدم مخاطبته فى هذا الشأن .. ولكن اثنـــاء وجودى معهما رأيت الدكتور قادما من بعد فحاولت التشاغل عنـه حتى لا يرانى ولم التفت اليه وتضايقت فعلا .. علما من أنه اذا رآنى معهما سيخبر عمى وعمتى وكنت اريد ان احتفظ بهذا سرا وعندما اقتربنا من باب الابرشيه .. ترجلت .. وقال لى دريفيلد :

ـ اذا وجدت انك تستطيع الخروج غدا معنا فاحضر مبكرا بقدر الامكان .. انت تعرف مسكننا .. أليس كذلك .. انه فى البيت المجاور لقاعة الاجتماعات الدينية .. ان اسمه فيلا « لايم كوفننج » .

وعندما كنت أتناول العشاء جعلت افكر فيما قاله لى دريفيلد ـ ولكن خبر لقائى بهما ما لبث ان ذاع فى بلاكســـتابل .. وقالت عمتى :

ـ مع من كنت تسير بدراجتك صباح اليوم ؟ لقد قابلنا الدكتور فى المدينة واخبرنا بذلك وانه رآك .

وكان عمى يمضغ قطعة من اللحم فنظر الى بفتور فقلت له :

ـ انهم آل دريفيلد المؤلف المعروف .. ويعرفهما مستر جـلاوى (القس) .

فقال عمى :

ـ ان سمعتهما سيئة جدا .. ولا احب أن ترافقهما ..

فقلت :

لماذا ؟

فقال عمى :

ـ لا اريد ان اقدم اسبابا .. ويكفى أن اقول ذلك ..

فقالت عمتى :

ـ وكيف تعرفت بهم ؟

ـ كنت أسير بدراجتى وقابلتهما على دراجاتهما مصادفة (لم اشرح كل ما حصل) .

فقال عمى :

ـ هذه جراة زائدة .

وبدات امتعض لاظهر استيائى عندما وضعت الحلوى على المنضدة وبالرغم من كونها تورتة مصنوعة من التوت إلتى كنت دائما مغرما بها فقد رفضت تذوقها .. ولكنى تناولت القليل منها بعد الحاح عمتى . ثم قمت الى غرفة الصالون .. ولما انتهى الخدم من تناول طعامهم ذهبت الى المطبخ واخذت قطعة أخرى من طبق الحلوى .. ولكن مارى قالت لى ان هذا محتفظ به لليوم التالى وانه كان على ان آخذ كل حاجتى وأنا فى غرفة الطعام .

ثم قلت لها :

ـ ماعيب دريفيلد وزوجته ؟

وكانت ماري في خدمتنا منذ كانت في الثامنة عشرة من عمرها ـ تقوم بكل شئوني وتدخل معي الحمام عندما استحم .. وهي من نفس بلاكستابل ولم تذهب الى لندن أبدا .. وكانت مواظبة لم تتخلف يوما واحدا عن عملها .. ولم أرها يوما ما مرضت .. أو تغيبت في اجازة . وكان عمي يدفع لها اثنى عشر جنيها في السنة ، وتذهب الى الكنيسة في امسيات أيام الآحاد . ملمة بكل صغيرة وكبيرة في بلاكستابل .. تعرف كل الناس .. ودقائق داخلياتهم من تزوج وما اسم زوجته .. ومن مات ومن مرض وعدد الأطفال واسماءهم وما لدى كل امراة منهم .. وعندما القيت عليها هذا السؤال قالت : ان عمي محق فيما فعل .. وانها لو كانت مكانه لما فعلت الا ذلك .. ورأيت أنها ملمة بالحديث الذى دار في غرفة الطعام بينى وبين عمى وعمتي .. فقلت :

ـ انا لست طفلا ..

فقالت :

ـ ان هذا مما يجعل الأمر أكثر سوءا .. انهما استاجرا منزلا في البلدة ويدعيان أنهما محترمان .. والآن دع هذه الفطيرة جانبا لأنها محجوزة لباكر ان دريفيلد لا يهمه شيء .. فهو رجل متعلم والشيء الذى أسف له انه كان متعبا لأمه طول عمره .. ثم بلغ به الأمر بعد ذلك أن يتزوج من زوجته الحالية روزى جان .. لقد علمت انه لما اقترن بها حزنت امه كثيرا واعتكفت في غرفتها ثلاثة اسابيع لا تكلم احدا .

وقد كان اسم عائلة جان من الأسماء المعروفة في بلاكستابل وافرادها يملئون الكنيسة ان والدها هو جوسيا جان كان رجلا جادا ـ ذهب للجندية وفقد ساقه واستبدلها برجل خشبية وكان يعمل رساما .. وكان في أكثر أيامه بلا عمل .. انهم يسكنون في المنزل المجاور لنا في حى راى لين .. وكانت روزى تتردد معي على المدرسة، مدرسة الاحد .. فقلت :

ـ ولكنها ليست من سنك ؟

ـ انها تجاوزت الثلاثين ـ انها أصغر منى بأربـــع أو خمس سنوات مهما حاولت أن تبدو صغيرة ـ ويقولون انها تغيرت الآن .. وانها تلبس الملابس الفاخرة .

فقلت :

ـ هل صحيح أنها كانت تعمل فى بار ؟

ـ نعم فى بار ريل واى آرمز .. فى هافرشام لأن صاحبة البار طلبتها للعمل معها وهو بار متواضع عند محطة السكة الحديد فى لندن ـ دوفر ـ وتعمل روزى فى هذا البار .. وفى فصل الشتاء تجد زحاما شديداً وكان عمك لا يرتاح الى وجوده وحاول الغاء رخصته أما اهالى البلدة فكانوا ينفرون منه ولا يحبون التردد عليه .. واذا ارادوا شيئا من الشراب كانوا يذهبون الى بار آخر هو بار الدوق كنت .

ثم قلت وعيناى تكادان أن تخرجا من رأسي :

ـ ماذا كانت تعمل ؟ .

فقالت :

ـ ان عمك سيستاء جــدا اذا علم أنى أكلمك فى مثل هـــذا الموضوع .. انها كانت تختلط بجميع الرجال الذين يترددون عـلى البار .. انها فظيعة لقد اتصلت أولا بلورد جـــورج ولم يكن ذلك ملائما له لأن مركزه كان اكبر من هذا بكثير .. ولكن قيل انه ذهب الى هناك مصادفة عندما تأخر القطار الذى كان سيسافر به فرآها هناك وبعد ذلك واظب على الذهاب الى البار كل يوم مع انه متزوج وله ثلاثة أولاد .. كم أنا حزينة .. لحالة زوجته .. والكل يتكلم عن ذلك .. وفى يوم ما ... هددتها مسز ريفز صاحبة البـــار بالطرد .

انى اعرف لورد جورج جيدا .. ان اسمه كان جورج كيمب واطلق عليه لورد من باب الفكاهة لضخامة شكله ، انه كان يعمل في تجارة الفحم في بلدنا وكذلك كان يتجر في لوازم البناء ، وكان مساهما في بعض محلات تجارة الفحم واشترى منزلا جديدا وهو في ملابسه الزاهية ملفت للانظار ويذهب يوميا الى الكنيسة في بذلته الفراك وقبعته العالية ، وكان يريد ان يكون ناظرا للكنيسة ولاشك ان نشاطه مفيد ، ولكن عمي رفض ذلك بتاتا .. ويرى فيه أهل البلدة انه متعاظم وضحكته غير مهذبة .. كثير التودد الى الناس . وقد حضر عندنا يوما اثناء وجود زوجة الطبيب وقد استاءت عندما التقت به عند الباب فادخله عمى الى غرفة المكتب وجلس الى أن تنتهى من تناول الشاى وقال لعمى ان المدينة خاملة وانه يريد أن يسبغ عليها شيئا من النشاط .. ورغب في تاليف شركة للسياحة وطلب ان يكون للبلدة عمدة خاص مثل بلدة نيرى .. وظن الأهالى انه يريد بهذا أن يكون هو العمدة .

ـ ولقد فرغت من الكلام الذى سمعته من مارى .. وان كنت لم أصدقه بسهولة ولقد قرات كثيرا من القصص وتعلمت كثيرا في المدرسة عن الحرب .. ولكنى كنت أعتقد أن الحب من شأن الشباب فقط .. ولم أكن أتصور أن رجلا له زوجة وأولاد يكون لديه احساس من هذا النوع وأنه اذا جاوز الانسان الثلاثين فانه لا يرتاح الى معانى الحب .

ثم قلت لمارى ..

ـ ولكن لو أن لورد جورج كانت له علاقة جنسية مع جان لكان قد انجب منها طفلا .. لقد قرات فى القصص ان المراة الجميلة اذا تورطت فى الحب فمن المعتاد ان تلد مهما احتاطت .

فقالت مارى :

ـ هذا امر راجع للحظ اكثر مما يرجع الى اى شىء آخر .

ثم توقفت عن الكلام واستمرت تنظف ما كان أمامها من الاطباق ثم قالت :

ـ يبدو انى اسمعتك اكثر مما كان يجب أن تعرفه .

فقلت :

ـ انا اعرف كل شيء ـ طبعا ـ ومع ذلك فلقد صرت رجلا ـ اليس كذلك ؟

فقالت مارى :

ـ ان كل مااستطيع قوله لك .. انه لو فرضنا ان مسز ريفز طردتها فان جورج سيجد لها عملا فى مكان آخر فى برنس اوف ويلزز فيذرز فى بلدة فافرشام .. انه يتردد دائما على هذا المكان فى عربة .. ان الجعة ليست مختلفة منها فى اى مكان آخر .

فقلت :

ـ اذن لماذا تزوجها دريفيلد ؟

فقالت مارى :

ـ انه رآها فى بار فيذرز .. انى اعتقد انه الوحيد الذى كان يمكن أن يتزوجها انه لاتوجد اى امراة اخرى ترضى به زوجا .

ـ أهو يعرف ذلك ؟

ـ الأفضل أن توجه هذا السؤال اليه ..

فسكت لأن الموضوع كله محير .. ثم سألتنى مارى عن شكلها الآن .. اذ انها لم ترها منذ ان تزوجت .. بل لم تتكلم معها منذ علمت بما كان من امرها فى بار ريل واى آرمز .. فقلت :

ـ انها تبدو فى احسن حال .

فقالت :

ـ حسن . سلها عما اذا كانت تتذكرنى واخبرنى بما ستقول.

الفصل السادس

لقد صممت على الخروج مع دريفيلد وزوجته غدا .. ولكنى رأيت من الأفضل أن آخذ رأى عمى وان كنت لا أريد مصارحته بذلك .. مصــــارحة كاملة .. ولانه لو علم بما كان من خـــروجى معهما سيثير ضجة لا علاج لها .. واذا سألنى دريفيلد عما اذا كنت استأذنت عمى فسأقول نعم .. على أنه لم يكن هناك داع للكذب .. فقد جاء المد عاليا بعد الظهر وسرت الى الشاطىء للاستحمام ..

وتصادف أن كان عمى خارجا لبعض شأنه في المدينة .. فمشينا معا جزءا من الطريق، وعندما صرنا أمام محل بيرانزكير خرج منه دريفيلد ولما رآنا تقدم مباشرة الى عمى فى هدوء تام وقال :

ـ مساء الخير يافيكار .. هل تذكرني ؟ لقد كنت أغنى مع المجموعة عندما كنت صغيرا .. أنا ادوراد دريفيلد .

ـ آه .. نعم .. كيف حالك .. لقد أسفت عندما سمعت بوفاة والدك ..

ـ لقد تعرفت بابن أخيك الشاب .. لقد كنت أود أن تسمح له بالخروج معنا بالدراجات غدا .. سنقوم بتنظيف الأجزاء النحاسية في الكنيسة ، وسأعطيه مايلزمه من الأوراق والشمع في كنيسة فيرون.

ـ انه حسن منك ولكن ..

وكان عمى يريد أن يرفض ولكن دريفيلد واصل كلامه وقال :

ـ ثق انى لن اسبب اية متاعب له .. سيساعدنا فى عمليات التنظيف .. ولم يستطع عمى قطع كلام دريفيلد .. وان كان لم يرتح اليه وقال :

ـ اننى يمكننى شراء الورق والشمع من تيردورى .

وما كان منى الا أن قلت فورا :

ـ سأذهب الآن الى الكنيسة واشترى الورق والشمع .. وذلك حتى لا أعطى عمى فرصة الرفض .

الفصل السابع

لقد كانت مسز دريفيلد صريحة .. وكان في مسلكها نوع من السذاجة .. التى عند الصغار .. حتى انه لم أكن أصدق انها تصادق البحارة بله شخصا ضخما هائلا مثل لورد جورج .. ولم يكن مظهرها مظهر المرأة الشريرة التى قرأت عنها في القصص .. لقد فهمت طبعا انها ليست طرازا جديدا .. وكانت تتكلم بلهجة بلاكستابلية .. ولغتها لم تكن سليمة .. ولكنى رغم كل هذا كنت احبها .. لقد خيل الى أن كل ما سمعته عنها من مارى لم يكن الا سلسلة من الأكاذيب ..

وقد ذكرت لها مرة أن مارى آن طاهيتنا وانها تسكن في البيت المجاور في راى لين وكنت اتوقع انها ستتجاهلها .. فقالت :

ــ انى أعرف أنها كانت تاخذنى الى مدرسة .. الاحد .. وتعمل على راحتى .. لقد علمت أنها تعمل في خدمة الكنيسة .. انى لم أرها من مدة طويلة اذكرنى عندها . وأطلب منها أن تزورنى عندما تخرج لانى أريد أن اقدم لها فنجانا من الشاى ..

وادهشنى من مسز دريفيلد دعوتها مارى لتتناول الشاى معها ..ومع زوجها ورأيت أن هذا التصرف من ناحيتهما خطأ..يجب أن يعرفا ما يليق وما لا يليق .. وما زلت اعجب عندما اسمع منهما مايحكيانه عن حياتهما .. مما أرى انه كان يحسن عدم ذكر اى شىء عنه كما جرت به عادة الناس فى كتمان المتاعب فى الظروف غير الحسنة

التي تصادفهم .. ولكن هالني من دريفيلد ما سمعته منه .. انه عمل جرسونا في مطعم عيوليورن كان هذا امر عادى أخبرنى انه اشتغل حوذيا على مركبة في مبرلشمون وكاتبا في مكتبة برمنجهام.. ولما كنا يوما مارين بمطعم ريل واى آرمز قال انه عمــل فيه ثلاث سـنوات .. وقال أن هذا هو المحل الذى كان يتردد عليه ثم اشتغل في محـل آخر وتركه ليتزوج ..

فضحكت زوجته للذكرى ولم اجد ما اقوله واحمر وجهى خجـلا ..ومرة أخرى عندما كنا في طريقنا الى فيرى باى في عودتنا من رحلة طويلة في يوم حار .. وكنا جميعا عطشي .. اقترح أن أتناول الجعة في دولفين .. ثم جعلت تتكلم مع فتاة البار وهالنى ما سمعت منها .. انها كانت تزاول نفس العمل مدة خمس سنوات ثم حضر صاحب المحل وقدم له دريفيلد كأسا من الجعة .. كما عرضت مسز دريفيلد على خادمة البار أن تتناول كأسا من البورت وتجاذب الجميع أطراف الحديث عن البحارة والمنازل المؤجرة وكيف ان الأثمان كلها تميل الى الصعود ..

اما انا فقد دهشت ولم أدر ما أقول ... ولما هممنا بالخروج قالت مسز دريفيلد :

ـ انى أعجب لهذه البنت تايند انها تعمل لمستقبلها ..

وقد قلت لها أن حياتها شاقة ولكنها مسلية وقلت لها اذا واتتك فرصة الزواج فلا ترددى ، ولاحظت انها تلبس خاتم خطوبة ولما سألتها عن هذا ضحكت لتهيىء للرواد الفرصة لمعاكستها ..

ثم نظرت الى وقالت :

ـ لقد امضيت وقتا طيبا فى الماضي عندما كنت فتاة بار .. ولكن الانسان لا يمكن أن يستمر هكذا الى الابد .. ويجب التفكير في المستقبل .

لقد اقترب موعد الدراسة في نصف سبتمبر ، وقد ولعت جدا بدريفيلد وزوجته ، ولكنى لم أجد الفرصة للحديث عنها في المنزل لأن عمى لا يرتاح الى ذلك .. وقال عمى :

ـ أعتقد انه مادام دريفيلد من مواليد الأبرشية .. ويراك كل يوم تقريبا فلا باس من حضوره الى الكنيسة من وقت لآخر ..

وقد قلت لدريفيلد ان عمى يريد منك التردد على الكنيسة ..

فقال :

ـ لا باس .

واخبرت مارى بذلك .. ثم ذهب دريفيلد وزوجته الى الكنيسة في الموعد ولما عدت سالت مارى عما اذا كانت قد راتها في الكنيسة .. فقالت في فتور :

ـ نعم انها في حالة حسنة ..

ـ الم تتحدثى اليها .. ؟

عند ذلك بدا الغضب على وجه مارى وقالت لى :

ـ اخرج من المطبخ لا أدرى لم تاتى لمضايقتى دائما طول النهار، وكيف استطيع القيام بعملى وانت هنا دائما .

قلت :

ـ حسن ..

فقالت :

ـ عجيب امر هذه السيدة .. اليس لديها من الحياء ما يمنعها من مقابلة الناس .. انا أعجب لعمك كيف يسمح لك بمرافقتهـا والذهاب معهما هنا وهناك !!؟

ولم أدر لم غضبت مارى الى هذا الحد ... ولم أعد اذكر اسم مسز دريفيلد مرة اخرى .. ولكن حدث منذ ثلاثة ايام ان كنت

في طريقي الى المطبخ لاتناول منه شيئا .. وسمعت وانا في الدهليز المؤدى اليه صوت ضحكات .. فاعتقدت أن مارى تستقبل احدى صديقاتها وكان ضوء المصباح خافتا .. ورايت أدوات الشاي على المائدة ورايتهما جالستين تشربان .. ثم انقطع الحديث وسمعت صوتا يقول :

ـ مساء الخير ..

ودهشت عندما رايت ان المتكلم لم يكن الا مسز دريفيلد .. فضحكت آن لدهشتي وقالت :

ـ ان روز جاءت الى لتتناول معي الشاي لانها لم ترني منذ زمن طويل .. وقد بدا الخجل على مس آن .. اما مسز دريفيلد فقد القت على نظرتها المعتادة وكانت في حالة مرح . .ولفت نظرى فخامة ملابسها التي لم أكن قد رأيتها من قبل .. ثم قالت لى :

ـ اذا كنت سأنتظر حتى تحضر لى آن فمعنى هذا انى لن اراها ولهذا رايت أن احضر اليها انا ..

فتمتمت آن ببعض كلمات ولم يبد عليها عدم الارتياح .. وبينما كنت انظر الى الباب الرئيسي وكان الليل قد اقبل .. وعلى حين غرة رايت رجلا يقترب من الباب فظننت أول الأمر أنه ربما كان ادوارد دريفيلد . وكنت على وشك التوجه اليه عندما وقف ليشعل غليونه .. ثم ظهر لى انه لورد جورج .. فدهشت لوجوده فى ذلك المكان وفي الحال خطر لى انه لابد أن يكون في انتظار مسز دريفيلد .. ودق قلبى بشدة ثم انسحبت الى ما بين الاغصان .. وان كان مكانى الاول غير مكشوف في الظلام .. وبعد دقائق قليلة فتح الباب الجانبى وخرجت منه مسز دريفيلد وفى وداعها مارى وسمعت وقع اقدامهما على الارض ووصلت الى البوابة وفتحتها بمزلاج صغير .. ولما سمع لورد جورج الصوت تقدم والتقى بها قبل أن تخرج الى

الطريق واخذها بين ذراعيه واحتضنها .. اما هي فانها ضحكت ضحكة قصيرة وقالت هامسة :

ـ احترس من قبعتى ..

وكنت واقفا على بعد اقدام قليلة منهما ، وخجلت من هذا الموقف ، وكنت ارتعش من شدة الغيظ ثم ما لبث ان رفعها مرة اخرى بين ذراعيه .. ثم قال لها :

ـ هل بالحديقة احد ؟

قالت له :

ـ لا شيء ان الولد هنا ..

فقال :

ـ دعينا نذهب الى المزارع .

ثم اتجها الى الحقول ، وكان يحيطها بذراعيه واختفيا في الظلام وبلغ من شدة غيظى ان خطر ببالى ان احكى هذا لكل انسان اراه . ولكنى امتنعت لأن هـــذا يعتبر سرا ثم مضيت ببطء الى المنزل ودخلت من الباب الجانبى وعندما ســمعت مارى صـــوت الباب نادتنى وقالت :

ـ اهو انت .. يامستر ويللي .

ـ نعم .

ونظرت الى المطبخ وكانت مارى قد اعدت العشاء لتنقله الى غرفة الطعام .. وقالت :

ـ لن اذكر لعمك شيئا عن حضور روز ..

فقالت :

ـ ولا انا .

وكانت ماري تحاول ان تجد ما يبرر حضور روز خصوصا أنها قالت ما قالت عنها .. فقلت :

ـ انها ليست رديئة ..

فقالت في ابتسامة :

ـ على الرغم من ان اسنانها متآكلة .. فانها كانت عذبة .. انى في الواقع لا اعرف حقيقة حالها ولكن فيها ما يحببها اليك .. انها مكثت معي مدة ساعة كانت متواضعة تحدثت الى عن الفستان الذى كانت تلبسه وعن الماضي ، وعندما كنت امشط لها شعرها ، وأيام طفولتها ..

وهنا بدا على وجه ماري الحنين للماضي ..

الفصل الثامن

عبس الجو فجأة واشتدت برودته وسقط مطر غزير .. فانتهت بذلك رحلاتنا على الدراجات ولم اشـعر باسف لهذا .. لأنى لم أكن ادرى كيف استطيع النظر الى مسز دريفيلد بعد ما رأيتها بعينى مع لورد جورج .. فقد سبب لى هذا من الدهشة اكثر مما سبب لى من الألم ..

لم ادر كيف سمحت هذه المرأة لرجلٍ عجوز مثل جورج أن يقبلها ويحتضنها بهذه الكيفية المخجلة التى وقع نظرى عليها .. وظللت باقى الاجازة لا أرى دريفيلد ولا زوجته الا مرة واحدة .. حيث قابلتهما عرضا في أحد الشوارع ، ولما رأيانى وقفا وسلما على .. ومع هذا فقد شعرت بالخجل مرة أخرى خصوصا لما التفت عينى بعين مسز دريفيلد .. ولم الاحظ عليها أى أمر غير عادى .. لقد نظرت الى كعادتها بعينيها الذابلتين في سذاجة الأطفال .. وكانت تفتح فمها كأنها تحاول أن تبتسم وشفتاها مصبوغتان بالأحمر ، وعلى أى حال فان استسلامها للورد جورج أمر يدعو للدهشـة .. واعتقد انه لابد ان يكون هناك سر حملها على هذا .. انى لا اكاد أصدق ما رأيت ..

واخيرا جاء موعد سفرى الى المدرسة وحضر الحمال ، واخذ امتعتى الى المحطة ، وأرادت عمتى أن تذهب لوداعى فلم أوافق .. متظاهرا بالرجولة مع أنى كنت متخاذلا في الواقع .. أثناء سيرى الى

المحطة .. وهى تقع قريبا من الشاطىء ثم ركبت القطار وجلست في احد اركان عربة الدرجة الثالثة .. وفجأة سمعت صوتا يقول :

ـ ها هو ..

واذا بمستر دريفيلد وزوجته يبحثان عنى ..

وقالت مسز دريفيلد :

ـ لقد رأيت أن واجبنا يحتم علينا الحضور لوداعك .. هل انت متضايق ؟ .

ـ لا .. طبعا ..

ـ لن يمضي وقت طويل حتى نراك في الكريسماس.هل تعلمت الانزلاق؟.

ـ لا .

ـ اذن ساعلمك .

وقد تاثرت لحديثها الذى رفع روحي المعنوية .. وقدرت جميلها لحضورها للمحطة لوداعى .. وحاولت الا يظهر هذا التاثير على وجهى ..

ثم جعلت تنظر الى وقد ملأت الابتسامة فمها .. وكنت دائما أجد في ابتسامتها شيئا احبه .. ومرت بى لحظة رهيبة .. تمنيت لو انها تقدمت فقبلتنى .. على انها كانت تنظر الى نظرة الكبار الى الصغار ..

ووقف الى جانبها دريفيلد لا يقول شيئا .. وعلى وجهه ابتسامة ... ثم اعطيت الاشارة للقطار فتحرك .. وفى هذه الفترة وضع دريفيلد في يدى شيئا . ولما فتحته بعد تحرك القطار وجدته نصفى جنيه ملفوفين في ورق تواليت .. فخجلت لذلك جدا لقد كان من دواعى السرور ان أحصل على خمسة شلنات .. ولكن لما فكرت في أن دريفيلد قدم لى مثل هذا المبلغ بصفة بقشيش خجلت واغتظت ،

وقلت في نفسي يجب ان أرد له المبلغ لأن في ذلك زراية .. وبعد تفكير رايت الرجل قد فعل ذلك بسلامة نية .. وانه اراد أن يدخل السرور على .. فمن غير الملائم ان أرد له المبلغ ولكنى لكى أرضي كبريائى لم أكتب له شكرا ..

ولما جاءت اجازة الكريسماس .. عدت الى البلدة لاقضي بهـا الاجازة ، وكنت أشوق ما أكون الى لقاء آل دريفيلد .. وأردت الذهاب اليهما في المنزل ولكنى ترددت وتمنيت لو انى أقابلهما في المدينة ، واخيرا غلبني الشوق وصممت على الذهاب الى منزلهما ... وخرجت فى يوم شديد البرد والظلمة .. امشي على الرصيف .. وكان دريفيلد يقيم في أحد الشوارع الجانبية في منزل مبنى بالطوب الاصفر .. القائم .. فطرقت الباب وفي الحال فتحت لى خادمة صغيرة وسألتها عما اذا كانت مسز دريفيلد موجودة . فنظرت الى بارتياب وقالت انها ستذهب لترى ، وتركتني واقفا في الدهليز ، ثم سمعت أصواتا في القاعة المجاورة .. انقطعت عندما فتحت الخادم الباب .. ثم أدخلتنى غـرفة الانتظار .. وبعد ذلك حضر دريفيلد .. ونظرا لضعف الضوء لم يميزني بسرعة .. ثم ما لبث ان نادى زوجته وقال :

ـ ها هو اشندن الصغير ياروزى قد حضر ..

وهنا سمعت صيحة وفي لمح البصر اقبلت مسز دريفيلد مسرعة وامسكت بكلتا يدى مسلمة وقالت :

ـ ادخل ادخل ... اخلع سترتك ان الجو فظيع لابد أنك قاسيت من شدة البرد.. وجعلت تساعدنى فى خلع ملابسى وتناولت منى الكوفية والقبعة وسحبتنى الى الغرفة وكان جوها خانقا نوعا .. نظرا لعدم اتساعها ولوجود المدفاة فيها .. ووجدت بهـا كلا من القس جلاوى . ولورد جورج وقد سلم على جلاوى في اضطراب احسسته لما مد يده للسلام على ، وقال انى حضرت لرد بعض كتب كنت استعرتها من مستر دريفيلد .. ولكن مسز دريفيلد تفضلت ودعتنى لتناول الشاى معهم ..

غير أن مستر دريفيلد لم يرتح لهذا القول ، وألقى عليه نظرة تنم عن ذلك .. أما زميله جورج فلم يكترث وعندما سلم على قال :

ــ لقد كبرت يا فتى .

فسلمت عليه ببرود ووددت لو أنى لم أحضر .

ثم قالت مسز دريفيلد :

ــ دعني أقدم لك فنجان شاى قوى .

ــ لقد تناولت الشاى فعلا .

فقال جورج :

ــ خذ فنجانا آخر .

وقال دريفيلد :

ــ عندما كنا في مثل سنك كنا نأخذ اثنين وثلاثة .. ستقدم لك مسز دريفيلد الشاى بيديها الناعمتين الجميلتين مع بعض الزبد والمربى.

وكانت أدوات الشاى مازالت على المائدة التى يجلسون حولها .. ثم احضرت لى مقعدا .. وقدمت لى مع الشاى قطعة كيك ثم قال لى دريفيلد :

ــ هل اخبرت عمك بأنك قادم الى هنا ؟ .

ــ لا .. لقد تركت البيت للنزهة .. وفجأة خطر ببالى أن احضر .

ولم يرتح جلاوى لكلامى هذا لانه يعرف عن عمى انه لا يحب حضورى .. ثم قال لى :

ــ انه لا داعى لأن أذكر لعمى أمر حضورى ولو أن هذه العائلة لاغبار عليها ..

فوافقت لأنى كنت واثقا أن مستر جلاوى لن يذكر لعمى شيئا عن هذا الموضوع ..

وذات يوم اجتمع في منزلنا مع عمى بعض الأدباء من الرجال والسيدات ومعهم راعى الكنيسة .. وجاء ذكر دريفيلد وقذف فيه بعض الحاضرين بسبب زواجه من خادم بار .. ولكن عمى أسرع وقال :

ـ ان بيننا احد أصدقائه وأشار الى وانه كان يركب معه الدراجة في الصيف الماضي .. فأحسست بالضيق ...

فقال أحد الحاضرين وهو الدكتور :

ـ لقد قرأت كتابا من كتبه ، واعجبني لانه الفه عن منطقتنا ، واستطعت أن أفهم الأشخاص الذين يشير اليهم فيه غير ان كتابته كانت جافة بعض الشيء وصريحة .

فقال مستر جلاوى :

ـ لقد ذكرت له ذلك فقال ان عمال الفحم الذين يعملون في نيوكاسل والصيادين والفلاحين ليسوا كالسيدات .. رقيقي الاحساس مهذبين اذ لهم طريقتهم الخاصة في الحياة وهذا ما توخيت وصفه ..

فقال عمى :

ـ ولماذا لا يكتب الا عن هذا الطراز من الناس .

فقال أحد الحاضرين وهو مستر هايثورث :

ـ وما الفائدة من الكتابة عن النوع الشرير من الناس مع ان العالم فيه الصالح والطالح .

فقال مستر جلاوى :

ـ انا لا أدافع عنه ولكنى ابين لكم وجهة نظره ..

ثم جاء بعد ذلك ذكر ديكنز فقال عمى :

ـ ان ديكنز شيء آخر مختلف .

فقالت عمتى :

ـ ان المسألة أذواق .. انا دائما أرى أن كتابات ديكنز فيها خشونة ثم انتقل الحديث الى الجو وقالت عمتى :

ـ انى أحمد الله على هذا الجو اذ ان ديللى لا يستطيع الخروج فيه بالدراجة للقاء دريفيلد وزوجته .

عند ذلك تبادلت النظرات انا ومستر جلاوى .. ثم أطرقنا بنظرنا الى الارض .

الفصل التاسع

بمناسبة عيد الميلاد ذهبت الى منزل دريفيلد الذى كان قريبا من الكنيسة حيث وجدت هناك القس جلاوى ولورد جورج اللذين اعتادا التردد عليه .. وحدث مرة عندما التقى جورج مع عمى أن أخبره بانه يرانى هناك كثيرا ، وقد اخبرت جلاوى بعد ذلك .. فضحك وقال :

ـ لقد رتبت كل شيء .. وكنت قد بدات استظرف لورد جورج واسر بحديثه وخفة روحه انه كان طريفا كثير الدعابة .. وقد هاكسته على طريقة تلامذة المدارس .. وقد كان دائم الحديث عن المشروعات الكبيرة التى ينوى عملها في البلدة ولا ينتقد ولا يتقبل بارتياح الانتقادات التى كنت أوجهها الى مشروعاته هذه .. انه كان كثير الكلام عن بلاكستابل وعدم ذكاء أهلها وركودهم .. وقد بدانا نلعب الورق انا وجورج ومسز دريفيلد وجلاوى .. اما دريفيلد نفسه فانه كان لا يحب اللعب .. وكان في هذه الاثناء يتشاغل عنا بالقراءة ومراجعة بعض الرسائل التى ترسل اليه عن بعض الكتب للتعليق عليها ..

ان مسز دريفيلد كانت تجيد اللعب بمهارة .. لا تتكلم كثيرا .. حاضرة الذهن .. وطالما كانت تصلح لى اخطائى .. وكانت معاملتها لجورج امامنا عادية الا انها كانت تنظر اليه من وقت لآخر نظرة خاصة وتركز عينها عليه .. وانظر الى جلاوى واجده مشغولا باللعب ..

أو باشعال غليونه ولا يلتفت الى تلك الحركات وبعد ان قضينا في هذا المكان ساعتين وقفت للانصراف .. قالت مسز دريفيلد :

ـ لا أدرى ماذا افعل بدونك عندما تتوجه الى المدرسة ..

ثم قال مستر جلاوى :

ـ ما عدد ايام اجازتك ..

فقلت :

ـ ثلاثة اسابيع .

فقال مستر دريفيلد :

ـ اذن ستتمتع بوقت طويل معنا وسيكون الجو جميلا في عيد الفصح ، ونستطيع أن نركب الخيل ونلعب التويست .. لقد اثبت انك تجيد هذه اللعبة ، واذا لعبت معى مرة او مرتين فلن تخشي اللعب مع اى انسان .

الفصل العاشر

واخيرا انتهى الفصل الدراسي ، واحسست بالانتعاش عندما وجدتني مرة أخرى أنزل من القطار في محطة بلاكستابل .. فقد كبرت قليلا وفصلت بذلة جديدة من قماش سبرج أزرق في تيركانري ، وكانت بذلة لطيفة انيقة كما اشتريت رباط رقبة جديد ، وصممت على أن أذهب مباشرة لأرى عائلة دريفيلد عقب انتهاء الشاى ، وكنت كثير الأمل في أن يحضر الحمال صندوق ملابسي بسرعة لارتدى بذلتي الجديدة .. حيث انى أبدو فيها كبيرا ، وبدأت أضع على شاربي فازلين عند النوم كى ينمو بسرعة ، وفي طريقي الى المنزل كنت أتلفت كى أصادف دريفيلد وزوجته ، وكان يسرني أن اتوجه اليهما للسؤال عنهما .. فان لدى أشياء كثيرة اريد ان اخبرهما بها فقد فزت بميدالية في سباق المائة ياردة ، وكنت الثاني في سباق الحواجز وأردت أن آخذ جائزة في الدراسة الصيفية في التاريخ ... وبالرغم من هبوب رياح شرقية فان السماء كانت زرقاء وبوادر الربيع بادية ، وقد كان شارع هاري واضح المعالم فان الرياح قد غسلت أشجاره الملونة وبدا كأنه محدد بريشة رسام ولما وصلت الى الكوبري لاحظت أن بيتين أو ثلاثة قد بنيت حديثا ..

وعندما وصلت الى المنزل وجدت عمى جالسا على مقعد بجوار المدفئة يقرأ جريدة التايمز ، فناديت عمتى التى نزلت بسرعة وعلى خديها حمرة فرح للقائي ، وأحاطت عنقى بذراعيها النحيفتين ورحبت بى وحدثتني بما سرني ..

ثم قبلت عمى في جبهته الصلعاء ووقفت امام الموقد وبعد ذلك صعدت الى أعلى لأسلم على اميلى الخادمة ، ثم الى المطبخ لتحية مارى آن ، ثم ذهبت الى الحديقة لأرى البستانى ، وأكلت بشهية لأنى كنت شديد الجوع ، وكان عمى بجوارى وسالت عمتى :

ـ ماذا حدث في بلاكستابل مدة غيابى ؟

ـ لا شيء يذكر . ان مسز جرينكورف ذهبت الى منتون لستة اسابيع ولكنها عادت منذ أيام قلائل .. اما الماجور فانه يشكو من مرض النقرس .

ثم قال عمى :

ـ اما أصدقاؤك عائلة دريفيلد فانهم هربوا .

فقلت :

ـ ماذا .

فقال :

ـ هربوا .. انهم اخذوا متاعهم ليلة ما ... وسافروا الى لندن وخلفوا عليهم ديونا لكل الناس .. انهم لم يدفعوا أجر سكنهم ولا أجر الاثاث وعليهم دين للجزار قدره ثلاثون جنيها ..

فقلت :

ـ ما أشنع هذا .. ؟

فقالت عمتى :

ـ وأكثر من هذا انهم لم يدفعوا اجر الخادمة لمدة ثلاثة شهور

فبهت لهذا .. فقال عمى :

ـ يجب أن ينالوا جزاءهم .. تصور أنهم مدينون لبعض الناس وكنت دائما أعتقد أنهم ليسوا الا انتهازيين ..

ـ وأنا أعجب لماذا حضروا الى هنا ..

وكنت لا اومن بصحة هذا الكلام لانه غـير منطقي ، ولكني تجنبت الجدل ، وبمجرد أن وجدت الفرصة سألت ماري آن عما تعلم عن هذا الحادث فكان رأيها مخالفا لما ذهب اليه عمي وعمتي ثم ضحكت ساخرة ..

وقالت :

ـ انهم لم يسيئوا الى احد انهم أحرار في نقودهم ، وكان كل انسان يعتقد أن عندهم الكثير من النقود .. انهم كانوا يتعاملون مع الناس ولا ضير في أن يكون عليك دين لاحد فليس الناس كلهم اغنياء.

ثم قلت :

ـ كيف هربوا دون ان يعلم احد ؟

ـ هذا ما يتساءل عنه كل انسان ويقال ان لورد جورج ساعدهم.

فقلت لها :

ـ ولكن كيف نقلوا صناديقهم الى المحطة ؟ وماذا قال لورد جورج ؟

ـ قال انه لا يعرف شيئا عن ذلك أكثر مما يعرفه الناس .

وقد امتلأت البلدة باللغط عندما عرف أن دريفيلد وزوجته قد هربا ..

وضحكت وقالت ان جورج يقول انه لم يسمع قط انهم مدينون ولكنه دهش ككل انسان ولكني شخصيا لا اصدق كلمة من كل هذا ..

ـ اننا نعرف كل شيء عن روزى فيما مضي قبل زواجها ، كلام بيني وبينك .

ـ ان روزى كانت تخرج للحقول كل يوم في الصيف الماضي للصيد .

ـ وكيف علم الناس بالموضوع .

ـ كان عندهم خادمة قالوا انها تستطيع ان تذهب الى منزلها تقضي ليلتها هناك ، ولا داعى لعودتها قبل الساعة الثامنة صباح اليوم التالى ، ولما عادت جعلت تدق الباب ولكن لم يجبها احد ، فذهبت الى الجارة وقصت عليها الخبر وسألتها ماذا تصنع ، فاشارت عليها الجارة بتبليغ البوليس فحضر احد رجاله وجعل يدق الباب والجرس، فلم يجبه أحد فقال للخادمة هل دفعوا لك الاجرة فقالت لا ، واظن انهم هربوا ولما دخل رجال البوليس ظهر انهم آخذوا كل ملابسهم وكتبهم لانهم يقولون أن دريفيلد عنده كمية نادرة من الكتب .

ـ وهل لم يسمع عنهم شيء بعد ذلك ؟

ـ لا ولكن منذ اسبوع وزد للخادمة ظرف مسجل من لندن لم يكن به الا شيك باجرها ولم يكن مرفقا بخطاب ..

واذا سألتني سأقول لك ان هذا عمل جميل لانهم لم يحرموا بنتا من اجرها . ثم قال جلاوى :

ـ انا لم أكن أعتقد انهم اغنياء ولكن اعلم ان لديهم ما يكفيهم .. ان منزلهم كان حسن التأثيث .. انهم كانوا مقتصدين في معيشتهم .. لقد كنت أحبهم ويحبونني لانهم كانوا دائمى الترحيب بى .. ويتعذر على تصديق اى شيء ضدهم وفي آخر مرة كنت عندهم طلب منى مستر دريفيلد وهو يودعنى أن أعود في اليوم التالى ، وقال لا تنس موعد الشاى غدا .. ولكن يظهر انهم كانوا قد أعدوا عدتهم للسفر سرا .. لانهم سافروا في تلك الليلة الى لندن ..

ـ وماذا قال جورج عن هذا التصرف ؟

ـ احقاقا للحق . انا لم أره من مدة .. وقد تعلمت فعلا درسا عن العلاقات السيئة لن انساه .

وقد شعرت باضطراب في نفسي اذ ان عمى سوف لا يرتاح عندما يعلم انى كنت اتردد عليهم كثيرا .. انه لن يدع مسألة كهذه تمر

بسهولة وسيظل سنين طويلة يذكرني بذلك ، وشعرت بارتياح لانقطاع جورج وان كنت فوجئت به مرة في الطريق وجها لوجه .. فصاح :

ـ هالوا ايها الغلام .. اظنك عدت للاجازة . ؟

فقلت متهكما :

ـ ان ظنك في محله ..

ولكنه لم يتضايق من تهكمي وضحك ضحكة عالية ..

ثم قلت له :

ـ ان الناس يقولون عنك انك ساعدت عائلة دريفيلد على الهرب.

فبدت الدهشة على وجهه ولكن بدا من نظرته الخبث والمكر وقال :

ـ انهما مدينان لي باربعة جنيهات .. ثمن فحم اخذوه مني .. ثم تركته وانصرفت ..

الفصل الحادى عشر

لقد كنت وانا انتظر قدوم الورى كير كثير التأمل فى الماضى ..
وكيف أن دريفيلد الذى كان في تلك الفترة الاولى من حياته بلاكستابل غير مرموق .. كيف أنه هرب وزوجته واستوجب نقد الناس .. انى شخصيا لم أكن اراه من طبقة الكتاب الممتازين فقد كانت لغته الانجليزية غير عالية .. خليط بين الكلاسيكية والعامية .. وربما كان هذا النوع من الأسلوب فى وقته مألوفا ومرغوبا فيه ، قد كتب بعض قطع في وصف الغروب ونهر التايمز والربيع حازت اعجابا ..
وهو من انصار الواقعية .. وكانت له تعليقات ساخرة على ما يجرى في الحياة .. يصف باسهاب ما يجرى في الحانات والمحلات العامة .. انه كان قويا في تناوله للامور التى تجرى حوله ، كأمور الفلاحين وعمال الزراعة وأصحاب المتاجر ورواد الحانات وربابنة السفن والبحارة والطباخين ، ولكنه لا يحسن التكلم أو الكتابة عن الطبقات العليا ، وعلى كل حال فان كتاباته تدخل على السام ، وكذلك فانى لا اتأثر بكتبه الدرامية التى تحرك أشجان الناس .. وقد تحس فيها شخصية روحه المفجوعة .. وفي ايامه الاولى كان يمدح ويذم بناء على واقعيته لانه كان يميل الى الثقة بغريزته .. ان من واجبنا ان نحترم ادوارد دريفيلد في شيخوخته .. انك لن تجد في بلد من بلاد العالم من يحترم الشيخوخة مثل الانجليز .. انهم يتزاحمون مثلا فى الدخول الى كوفنت جاردن ليستمعوا الى صوت مغنية قديمة .. وراقصة عجوز لا تحرك رجلها الا بصعوبة لفرط شيخوختها .. ومع هذا فان

هذا الطراز من الناس القدماء يحوز أعجاب الانجليز ألمتمسكين بالقديم وتقاليده .. وتمشيا مع تقاليد الانجليز وبغضهم للحديث وجد دريفيلد الكثير ممن يقدرون ادبه وكتاباته .. فان الكثيرين يرون انه عندما وصل الى السبعين .. كان عظيما .. ولما بلغ الثمانين وصفوه بانه الرجل العظيم ذو التاريخ المجيد في الأدب الانجليزى ، وقد احتفظ بلقبه هذا حتى مات ..

ثم اقبلت سيارة تاكسي ونزل منها روى كير وقال للخادم ان لديه موعدا معى ثم دخل فقلت له :

ـ لقد كنت أسائل نفسي من الذى يمكن أن يملأ فراغ ادوارد دريفيلد كعميد للادب الانجليزى وها انت قد وصلت لتجيب على سؤالى هذا ..

فانفجر ضاحكا ولكن ظهر في عينيه شيء من الارتياب ثم قال :

ـ لا أظن أن هناك من يخلفه .

فقلت :

ـ وماذا عنك ؟

فقال :

ـ ايه يابنى العزيز انا لم أصل بعد الى سن الخمسين .. مازال أمامى خمسة وعشرون عاما أخرى ..

ثم ضحك ولكنه تفرس في وجهى وقال :

ـ ان الانسان لا يسعه الا أن ينظر الى المستقبل بأمل .. وان كل الاشخاص الذين يكبروننى أغلبهم أكبر منى بعشر وخمس عشرة سنة .. انهم لن يعيشوا الى الابد ، وبعد وفاتهم فمن الذى سيخلفهم ولست أعرف ماذا يكون من أمر مستقبلى بعد عشرين عاما ..

ثم اضطجع روى في مقعده وناولته ويسكى بالصودا ..

فقال :

ـ عفوا .. انا لا أتناول مشروبا قبل السادسة مساء .. ثم قال :

ـ لقد أردت أن أتحدث معك حديثا قصيرا .. حول دعوة مسز دريفيلد لأنه كان من الصعب ايضاحها بالتليفون .. حقيقة الامر اني هيأت نفسي لكتابة تاريخ حياة دريفيلد ..

ـ ولماذا لم تخبرنى في اليوم السابق ؟

ـ لقد صدق ظنى حينما خطر لى ان دعوته لى لم تكن لمجرد تناول الغداء ثم قال :

ـ انا في الواقع لم اصمم على هذا ..

ثم قلت :

ـ ان مسز دريفيلد متطلعة الى هذا .. لقد قدمت كل ماعندها من معلومات مما احتاج اليه في هذا الشان .. انها كانت تجمع تلك المعلومات من سنين طويلة ان هذا ليس أمرا سهلا .. اظن أنى لا أستطيع القيام به على صورة مرضية ، ولكنى لو تمكنت من القيام به لعاد على بالخير .. ان الناس ترحب بالقصص .. ان ما كتبته في النقد كان جميلا ..

ـ انت اعرف بدريفيلد في السنوات العشرين الأخيرة أكثر من اى انسان آخر ..

ـ ربما كان ذلك .. ولكنى عندما تعارفت به لأول مرة كان فوق الستين ـ لقد كتبت واخبرته كم انا معجب بكتبه فطلب منى أن اذهب اليه ـ غير انى لا أعرف شيئا عن حياته الاولى وحياة زوجته .. ولقد كانت مسز دريفيلد تجره الى الكلام عن تلك الأيام ، وقد دونت مذكرات لها قيمتها عن كل ما سمعته منه .. ثم هناك

المذكرات التى كان يكتبها ويحفظها من وقت لآخر على أن الكثير مما كتبه كان يعنى به نفسه ..

ـ ان هناك فراغا كبيرا وأنا أريد ان أدلك على نوع الكتاب الذى أريده .. كتاب يبرز صفات المودة والاخلاص فى حياته مع بعض التفصيلات التى تجعل القارىء يحس باللذة في قرارة نفسه ، وهذه الأقوال فيها نوع من النقد لتاريخه الماضي لا يكون قاسيا بطبيعة الحال .. سيقتضي هذا جهدا كبيرا .. غير أن مسز دريفيلد تعتقد انى استطيع القيام بهذا العمل ..

فقلت له :

ـ نعم أنت تستطيع .

فقال روى :

ـ أنا ناقد وقصصي .. ان لدى بعض المؤهلات الادبية ، ولكنى لا استطيع اتمام شيء الا اذا ساعدتنى بمعلوماتك ..

ثم نظر الى روى وقال :

ـ لقد سألتك منذ أيام عما اذا كنت تريد كتابة شيء عن دريفيلد وقلت لا . هل لى أن أعتقد أن هذا القول نهائى ؟.

ـ بكل تأكيد ..

ـ اذن فهل لديك مانع من امدادى بكل المعلومات التى لديك ؟

ـ ياسيدى العزيز ليس لدى أى معلومات ..

ـ هذا غير معقول .. لانه لابد انك تعرف الكثير عنه عندما كان مقيما في بلاكستابل ..

ـ لم أكن اذ ذاك الا غلاما ..

ـ ولكن لابد انك كنت تلاحظ الأشياء غير العادية ، وفوق هذا فانه كان يمكن لأى شخص يجلس مع دريفيلد ولو نصف ساعة الا يرى فيه أشياء غير عادية ..

ـ ان كل ما كان يثير الاشمئزاز في نفسي من أمر دريفيلد انه كان يركب دراجته ويسير الى جانبي . وكان يرتدى بنطلونا قصيرا مما كان يلفت اليه نظر المارة ..

ـ هذا أمر مضحك .. فيم كان يتكلم ؟

ـ لا أتذكر ، انه كان مولعا بفن هندسة المبانى .. وبالفلاحة، واذا استحسن منظر محل عام كان يقف أمامه مدة خمس دقائق ، ويتناول زجاجة من اللوز المخمر ، ويتحدث مع صاحب المحل عن المحاصيل وأسعار الفحم وما الى ذلك ..

واني وان كنت ألاحظ على وجه روى عدم الارتياح الا انه كان يصغى الى أني لا اتذكر أن احاديث دريفيلد كان فيها ما يستحق الذكر ..

ـ الا تذكر مطلقا اى شيء مما قاله ؟

ـ شيء واحد فقط .. اتذكره لأنى لم أكن أقرأ ما كان يتكلم عنه .. لقد قال :

« انه لما تقاعد شكسبير ذهب الى ستراد فورد على نهر آفون مبجلا محترما .. وان اهم ما استرعى نظرى من رواياته (نظر دريفيلد) هما روايتا ـ اجراء ضد الاحمرار .. وتريليوس وكريسيدا أنا لا أعتقد انهما عبرقيتان .. »

ـ الم يتكلم عن احد غير شكسبير ..

ـ لا . لا أتذكر .. ولكن أذكر انى لما كنت أتناول الطعام مرة مع دريفيلد منذ سنوات قليلة كان يقول ان هنرى جيمس قد اشار الى حادث من أهم الحوادث التاريخية في العالم .. وهو قيام الولايات المتحدة ـ والذى سماه (الحدث الكبير) .

فقال روى :

ـ وماذا كنتم تفعلون في تلك الأمسيات التى كنتم تقضونها في منزل دريفيلد .

ـ كنا نلعب الورق وكان دريفيلد يقرأ في أوراقه وكتبه والكتب التي ترسل اليه للتعليق عليها وأحيانا كان يغني .. مع اني كثيرا ما كنت الاحظ عليه أنه غير مرتاح ..

ـ وانت تعرف انه بعد ذلك بقليل غادر بلاكستابل وخدع جميع الناس .

وهنا التزم روى الصمت دقيقة ونظر الى الارض كمن يبحث عن شيء ثم قال :

ـ نعم .. أنا أعلم انه حدثت أمور غير سارة وقد ذكرتها لي مسز دريفيلد ولكنني أعلم أنه دفع كل ديونه قبل أن يشتري منزله (فيرن كورت) ربما كانت هذه الحادثة لها أهميـة في تاريخ حيـاته .. ان لهذا الرجل نواحي غريبة فانه لم يستطع الاستقرار في بلاكستابل .. منذ تلك الحادثة ... كان يرى أن موضوع سفره الى لندن ليس أمرا ذا أهمية .. انه كان يريد أن يحكي لكل من كانوا يحضرون عنده الغداء قصة سفره الى لندن ، ولكن مسـز دريفيلد لم تكن تحب ذلك .. انه كتب معظم قصصه الهامة قبل أن يقع نظره عليها .. على أن كل الناس يعرفون أنها هي التي صنعت منه شخصية محترمة بعد زواجه منها .. لقد كانت له عادات غريبة غير جميلة .. مثلا ـ عندما يأكل كان يمسك بقطعة من الخبز ويمسح بها الطبق !! فهل تعرف معنى هذا .. انه ظل مدة طويلة لا يجد الا القليل مما يأكل ولهذا فانه لا يحب أن يبعثر الطعام ..

ـ حسنا .. ربما كان ذلك .. ولكنها عادة غير مستحبة وغير لائقة باديب مثله وقد كان مولعا بالذهاب الى حانة بوكاى في بلاكستابل ليشرب بعض الجعة على مرآى من الناس في البار .. لقد كان هذا ما يزرى بشهرته خصوصـا في الصيف حيث تزدحم تلك الأماكن بالرواد .. لم يكن يهتم في اختيار من يتحدث اليهم .. انه يحدث اي انسان يراه .. انه كان عندما يذهب للاماكن العامة ويلتقي بعامة

الشعب كان يحكي لهم كل مايدور بينه وبين ضـيوفه على مائدة الغداء من أمثال لورد كوزون .. وايدماند جوسي .. ويخبرهم عن رايه في هؤلاء الناس .. هل تعلم انه كان من أشق الأمور على زوجته ان تجعله يستحم .. انه كان يعتقد أن الاستحمام غير صحي .. وانه يرى انه لا داعي للاستحمام أكثر من مرة في الأسبوع ..

ثم قال روى :

ـ ولكن كيف أكتب عن زوجته الاولى ؟

ـ انها كانت شخصية قبيحة السيرة ... انها كانت زوجة له لسنين طويلة .. ان امه كانت تعتقد أن روز كان لهـا نفوذ على زوجها ، وانها فعلت كل ما تستطيع لتحطيمه أدبيا وجسميا .. وماليا .. انها ماتت من سنين وقد لا يكون من اللائق تجريح الموتى ، ولكن كتب دريفيلد الهامة كتبها أثناء زواجه منها .. على أني لا اريد ان اخوض في هذا الموضوع بالتفصيل لأنه ليس لدى الوقائع الكاملة الصحيحة ..

ثم قلت لروى :

ـ ولكن لماذا تريد مسز دريفيلد أن أذهب الى كورن فورت وأمكث هناك ؟!

ـ نعم لقد تحدثنا في هذا .. انه بيت طريف وهي تحسن الضيافة وهي ترى أنه ربما كانت اقامتك فيه لتدوين مذكراتك عنه مما يريحك لان المكان هادىء وجميل .

فقلت :

ـ أنا لا أستطيع أن اعدها بهذا ..

فقال :

ـ ولكن ربما كان وجودك هنـاك يذكرك ببعض الاشياء التى ربما تكون قد نسيتها او أن اقامتك وسط كتبه وحاجاته قد تصور لك الماضي على صورة افضل ..

فقلت :

ـ لست مغرما بالاقامة مع احد .. انى أكره القيام من سريرى في التاسعة لاتناول الافطار وآكل اشياء غير معتاد على أكلها ـ انا احب المشي والتنزه ولا احب آكل فراخ الآخرين ..

ـ انها امراة وحيدة هناك وربما كان من دواعى العطف عليها وعلى ايضا أن نذهب ..

ففكرت وقلت :

ـ ساخبرك بما انوى عمله .. سأسافر الى بلاكستابل ولكنى ساذهب وأنزل في بيروكاى ثم اذهب لزيارتها عندما تكون أنت موجودا هناك ونتكلم فى الموضوع معا . على انه سيكون لى مطلق الحرية في تركَكما في اى وقت أريد ..

فضحك روى وقال :

ـ حسن لعلك تكتب ما يفيدنى ..

ـ ساجتهد ..

ـ متى تأتى الى هناك ؟

ـ سأذهب معك اذا وعدتنى انك لن تحدثنى فى القطار ..

ـ وهو كذلك .. قطار الخامسة وعشر دقائق ..

ـ وهل اذهب اليك لآخذك ؟

ـ انى استطيع الذهاب الى فكتوريا منفـردا وسـاقابلك على الرصيف ..

ولست أعرف ان كان روى يخشي أن أغير رأيى ولكنه نهض فورا وسلم على بشوق وطلب منى الا انسي ملابس التنس ولباس السباحة الخاص بى !!

الفصل الثانى عشر

ان الموعد الذى قطعته على نفسي امام روى ايقظ في نفسي ذكريات أيام لندن ولما لم يكن لدى الكثير مما اعمله بعد ظهر ذلك اليوم .. فقد خطر لى ان اتمشي واتناول فنجان شاى مع صاحبة منزلى القديم .. مسز هدسون .. التى كانت سكرتيرة المدرسة وقد ارشدتنى لمنزلها للاقامة فيه عندما كنت أدرس الطب .. في سانت لوكس .. عندما كنت شابا حيث قدمت الى المدينة وكنت أبحث عن سكن .. واقمت في منزل مسز هدسون هذه خمس سنوات في غرفتين في الطابق الارضي .. وكان ناظر مدرسة يسكن في غرفة اخرى فوق غرفتى نظير مبلغ خمسة وعشرين شلنا ..

لقد كانت مسز هدسون سيدة نشطة كثيرة الحركة .. نحيفة .. شديدة الانهماك .. في أعمال المنزل .. ذات وجه نحيف وانف كبير .. سوداء العينين .. واسعتهما .. ذات شعر كثيف أسود تجيد تصفيفه وترخى منه خصلة على الجبين .. وخصلة اخرى على عنقها ، طيبة القلب ، كانت طباخة ماهرة ليس مثلها من يتقن عمل الجمعة وتستيقظ مبكرة كل صباح لتوقد النار فى غرفة الاستقبال تدق أبواب غرف من لم يصحون مبكرين لتناول الطعام في الموعد المحدد .. وكان زوجها أكبر منها سنا واعتدت ان أجلس قليلا في الافطار اتحدث معه ..

وكنت أحب تسجيل كلامها (كما كانت تعمل مسز دريفيلد مع

زوجها) وكانت لا تقبل في بيتها سيدات فكان زوجها قليل الكلام ولذلك كانت تتولى هي الكلام مع النزلاء .. وتحييهم ..

ولم اكن قد رأيت مسز هدسون منذ ثلاث سنوات .. وكان آخر خطاب وصلني منها تدعوني فيه الى الذهاب لتناول فنجان شاي ، وعلمت منها لما ذهبت اليها أن زوجها قد توفي منذ ثلاثة شهور حيث كان في التاسعة والسبعين من عمره . ولما كنت في طريقي اليها لم اكن في الواقع اتوقع انها موجودة على قيد الحياة ..

ولما دخلت المنزل فتحت لي ابنتها هيستر الباب وكانت في الخمسين من عمرها ولو انها بدت سمينة الا انها مازالت محتفظة بوجهها الجميل المدلل ..

دلفت الى الغرفة التي في مواجهة المدخل وجدت مسز هدسون ترفو جوارب ابنها جورج ، ثم رفعت نظارتها وقالت :

ـ حسن يبدو أن هذا مستر اشندن من كان يظن انه سيراك ثانيا .. سنأخذ معنا فنجان شاي . أليس كذلك ؟

ثم جلست على مقعد مكسو بالجلد وقالت :

ـ كيف حالك يا مسز هدسون ؟ .

فقالت :

ـ ليس عندي ما اشكو منه الا انني لم أعد شابة كما كنت تعهد ، ولا أستطيع الآن أن اشتغل كثيرا ولا أقوم الآن بتقديم العشاء للنزلاء .. واقتصرت على تقديم الافطار ..

ـ هل كل غرفك مؤجرة ؟

ـ نعم والحمد لله ..

ونظرا لارتفاع الأسعار فقد زاد دخل مسز هدسون عما كان أيام وجودي معها ... تحيا حياة هادئة ثم قالت لي :

ـ ما اقوله لك .. ان الناس بدءوا يطالبون بضرورة وجود حمام وبعد ذلك كهرباء ولا ادرى ماذا بقى ليطلبوه .

فقال ابنها جورج :

ـ لقد اقترب اليوم الذى يجب أن تستريح فيه أمى وتترك العمل .. فقالت مسز هدسون :

ـ ليس هذا من شأنك .. أنا لا اعتزل العمل الا اذا مت .. انى أريد أن أعيش خمسة وعشرين عاما أخرى اقضيها فى العمل ..

وقد عطفت عليها عندما سمعتها تقول ذلك ثم قلت لها :

ـ هل بالامكان أن ألقى نظرة على الغرف التى كنت أعيش فيها ؟

فقالت لابنتها :

ـ أسرعى الى أعلى .. يا استر واذا كان مستر جراهام غير موجود فلا مانع من ذلك !!!

ثم اتضح انه غير موجود ودخلت غرفتى القديمة ولاحظت أن كل ما فيها هو هو لم يتغير ، ولا أخفى انى شعرت شعورا خاصا عندما عادت بى الذكريات الى ذلك الماضي وتذكرت كل ما حصل لى .

الفصل الثالث عشر

لقد اقمت مع مسز هدسون سنين قبـل أن التقى بعائلة دريفيلد للمرة الثانية ، وكانت حياتى روتينية اقضي النهار كله في العمل بالمستشفى ، وفي الساعة السادسة أسير الى ميـدان فانسانت ثم اشترى جريدة ستار من شارع لامباث بريدج واتصـفحها الى ان جاءت ساعة العشاء ثم استانف القراءة بصفة جدية لتحسين معلوماتى لأنى كنت اذ ذاك مثال الشاب الدءوب المثابر المجـد ثم كنت اشتغل بعـد ذلك فى كتابة القصص والروايات الى ان تجيء سـاعة ذهابى للفراش .. وفى يوم من أيام شـهر يونيو خطـر لى أن أترك المستشفى مبكرا لأتمشي على قنطرة فوكسهول وكسان .. يحببها الى ما كنت أشاهده من الضوضاء والجلبة وفيما انا سائر دهشت اذ سمعت شخصا ينادينى باسمى فوقفت لأرى من هو ، ولشد ما كانت دهشتى عندما فوجئت بان المنادى لم يكن الا مسز دريفيلد التى نظرت الى بابتسامة ..

ثم صاحت :

ـ الا تعرفنى ..

ـ بلى .. مسز دريفيلد .

وانى وان كنت قد كبرت الآن .. الا انى خجلت لهذا اللقاء كما لو كنت في السادسة عشرة . وتذكرت مسالة هربها وزوجها من بلاكستابل دون أن يدفعا ما عليهما .. وكنت قبل ذلك يخيل الى انها

لو راتنى فانها ستتجاهلنى وتهرب من طريقى ولكن الذى أدهشنى أنها نادتنى وتقدمت الى بشوق شديد ..

ثم قالت :

ـ يسرنى أن ارى وجها من بلاكستابل .. انت تعلم اننا تركناها في عجل .. وضحكت انا وضحكت هى في اغتباط وبساطة .. ثم قالت :

ـ لقد علمت انه حدث قيل وقال بعد سفرنا من بلاكستابل .. ثم ماذا قال عمك ؟

فقلت :

ـ أوه أنت تعلمين من هو .. انه رجل من الطراز القديم ..

ـ حقا هذه هى أخطاء اهل بلاكستابل .. انهم جامدون ..

ثم نظرت الى نظرة مرحة .. وقالت :

ـ لقد كبرت كثيرا منذ أن رأيتك آخر مرة وها أنت تركت شاربك ينمو فقلت لها :

ـ نعم انى تركته هكذا من مدة ..

فقالت :

ـ ما أسرع مرور الزمن .. أليس كذلك .. انك منذ أربع سنوات فقط كنت غلاما والآن أصبحت رجلا ..

فقلت :

ـ هذا ما كان يجب أن يكون .. فانى الآن في الحادية والعشرين من عمرى ..

وكنت أتامل جمال وجه مسز دريفيلد ـ لقد كانت رائعة جدا هذه المرة وأنيقة فى ملابسها وبشرتها فى لون العــاج ، ثم قالت لى :

ـ ألا تعرف اننا نسكن في منتصف هذا الشارع ؟

قلت :

ـ وانا ايضا ..

ـ نحن منذ تركنا بلاكستابل .. ونحن نسكن في شارع ليجيباس.

ـ حسن انا اقيم في شارع فاسانت منذ سنتين ..

ـ عرفت انك في لندن .. قال لى ذلك جورج كيمب .. وكنت اتساءل في اى مكان تقيم .. لماذا لا تذهب الآن معى .. انى سعيدة لرؤياك ..

ـ لا مانع .

وقد اخبرتني ونحن في الطريق أن زوجها الآن المحرر الأوروبى لجـريدة اسبوعية .. وان كتابه الاخير حاز اقبالا أكثر من كتبـه السابقة .. ووجدت انها ملمة بكل ما يحدث في بلاكستابل ولاحظت اثناء سيرنا أن المارة يحدقون النظر فينا لأن جمالها كان يسترعى الانظار وهذا ما جعلنى أتيه فخرا بمرافقتها ..

وكان شارع ليمباس طويلا مستقيما يسير موازيا لشارع فوكس هول بريدج .. والمنازل كلها متشابهة تقريبا .. مطلية بالصيص القاتم ، وكانت وجيهة يسكنها ذوو الجاه من أهل لندن .. أما لون منزل دريفيلد هذا فكان أحمر باهتا ، ثم أدخلتنى مسز دريفيلد الى صالة مظلمة وفتحت الباب وقالت :

ـ ادخل .. سأخبره بحضورك ..

ثم دخلت .. ودخلت انا قاعة الجلوس ..

وبعد لحظة جاءت ومعها زوجها الذى حيانى بحـرارة وكان يلبس بذلة غير معتنى بها .. وله شارب قصير ولحية صغيرة ..

ثم لاحظت لاول مرة قصر قامته .. ولكن بدا أكثر وقارا من ذى قبل .. ثم قالت :

ـ ما رأيك في سكننا الجديد ان مظهره ينبيء أنه منزل اغنياء .. اليس كذلك ؟ انه يوحى بالثقة . وجعلت ألتفت حوله باغتباط ..

ثم قالت مسز دريفيلد

ـ ان غرفة المكتب فى البدروم ، ولدى كذلك غرفة طعام بجوارها

لقد كانت مسز كاولى من سنوات طويلة صديقة لاحدى السيدات الريفيات ولما ماتت تركت لها هذه الاثاث ولهذا فانت ترى هنا كل شيء جميلا ..

ثم قال دريفيلد :

ـ ان روزى أحبت هذا البيت بمجرد أن وقع نظرها عليه .

ثم قالت :

ـ وكذلك أنت ـ لقد عشنا في ظروف حقيرة مدة طويلة .. وها نحن انتقلنا الى ما هو احسن ..

وعند انصرافى ودعانى وطلبا منى الا انقطع عن زيارتهما للاجتماع بالرجال الكثيرين الذين يترددون عليهم وأتعرف بهم .

الفصل الرابع عشر

لقد واظبت على الذهاب الى منزل دريفيلد .. حيث كنت التقى بالادباء والفنانين واتصل بهم اتصالا خفيفا لأول مرة ... وكنت أعرف عندما أعود الي المستشفي كيف اواصل الكتابة .. وكان بعض الحاضرين من الطبقة المتوسطة .. ونادرا ما كان يحضر من له حيثية كبيرة لأن الصفة الأخرى يندر أن تجد فيها من يعشق الأدب والفنون.

وان كان انتشار التعليم في هذه الأيام قد جعل بعض ذوى الحيثيات والأرستقراطيين يدخلون نوعا ما في ميدان الأدب والأدباء .

ان الادب فى الواقع هو مهنة من اشرف المهن .. وكان الأجدر بالطبقة الارستقراطية ، التى لا عمل لها سوى التسكع والانتظار ، حتى تخلو لاحدهم وظيفة حاكم في احدى المستعمرات فيما وراء البحار .. كان الاجدر بهم أن يستغلوا وقتهم ويشتغلوا بالادب ..

وكان من المترددين على اجتماعات السبت من كل أسبوع في منزل دريفيلد مسز بارتون ترافورد .. وعندما قدمني لهـا مستر دريفيلد لاول مرة .. لم يثر اسمها في نفسي شيئا .. وقدمني لها على انني شاب من جيرانه فى الريف وأخبرها أنى طالب طب .. فالقت على ابتسامة عذبة ورددت بعض كلمات بصوت منخفض ناعم.

وقبلت مني شاكرة ما قدمته لها من الزبد والخبز .. ثم استمرت في الكلام مع مضيفها ولكنى لاحظت أن حضورها أضفى على المجلس بعض الأهمية واخذ الحاضرون يتأنون في حديثهم .. ولما

سألت عن اسمها لاحظت أن عدم سبق معرفتي بها أحدث اشمئزازا في نفوس الحاضرين .. وقيل انها فعلت كيت وكيت وجعلوا يعدون مناقبها .. ثم غادرت الغرفة بشكل جميل جذاب ورافقتها دريفيلد الى الباب الخارجي الى أن ركبت عربتها .. لقد كانت مسز بارتون في الخمسين من عمرها تقريبا صغيرة الحجم نحيفة ولكن تقاطيع وجهها كانت كبيرة مما جعل راسها يبدو كبيرا بالنسبة الى جسمها . ذات شعر أبيض مجعد يشبه شعر فينوس أوف أميلو .. وتدل هيئتها على انها كانت جميلة في صباها وقد قيل انها لم تكن موفقة في حياتها الزوجية .. ولكنها الآن محظية لمستر بارتون ترافورد الموظف في وزارة الداخلية ومن الثقاة في دراسة انسان ما قبل التاريخ (الانسان الأول) .

وتبدو لك لأول وهلة ـ وكان جسمها كأنه خال من العظام فاذا امسكت يدها وجدتها تشـــبه لحم السمك .. وجهها رقـراق برغم كبر تقاسيمه كل ما فيها ناعم .. صوتها ابتسامتها .. عيناها الصغيرتان الصفراوان .. أخلاقها في نعومة أمطار الصيف .. كل هذه الصفات والأوصاف الجميـــلة كونت منها سيدة محبـــوبة للجميع .. وهـــذا ما أكسبها الشهرة التي تحظى بها الآن .

ان كل الناس كانت تعرف صداقتها لذلك الكاتب الكبير الذي كان موته خسارة للأدب الانجليزي .لقد قرأ الناس كثيرا من رسائله التي كان يرسلها اليها .. والتي تراءى لها أن تطبعها بعد وفاته .. ان كل صحيفة منها كشفت عن اعجابه بجمالها واحترامه لآرائها .. انه لم يكن ينكر تشجيعها له ..

انها كانت مؤدبة مرحة .. ولقد صممت على الا تسيء الى مسز دريفيلد مطلقا . ان هذه السيدة مسز بارتون ربما كانت الشخص الفذ الذي لم يكن هناك من يكرهه ، ولكن مسز دريفيلد كانت تخفي في نفسها البغض لها حتى قالت عنها (هذه العجوز الملعونة) وقد لامها الجميع على ذلك ..

انه وان كان معظم زائرى دريفيلد من معتادى التردد الذى يحضرون مرتين او ثلاثا فى الشهر ، فقد كان قلة منهم يترددون كل أسبوع .. اننا كنا من المقربين نذهب مبكرين وننصرف متاخرين .. وكان من بين هؤلاء كيتين تورد وهو أكثر الجميع حظوة بالثقة ..

وكذلك هارى ريتفورد وليونيل هيلمار وقد اكتشفت انهم لم يواظبوا على الحضور حبا في عبقرية مستر دريفيلد ولكن لاى روزى كانت جميلة .. والآن عندما انظر الى الماضي فاني ارتعش جدا .. فان ما كان يتراءى لى منهما بدا واضحا تمام الوضوح .. ولم يكن يخطر ببالى أى شيء مما اكتشفته فيما بعد .. عن هذه السيدة وعندما رأيتها آخر مرة بهرنى جمالها .. ولكنى لم أكلف نفسي عناء التفكير فيما يحتمل أن يترتب على هذا الجمال الفتان ، لأنى كنت أنظر الى كل شيء بسلامة نية .. نظرتى الى مغيب الشمس فى بحر الشمال مثلا ... أو في أعلى قباب كنيسة تيركاتيرى .. ولقد راعنى ما سمعته من كلام الناس عن جمال روزى وكلف ادوارد بها ..

وذات مرة طلب منها هيلمان الرسام ان تجلس امامه في وضع معين ليرسم لها لوحة وجعل يذكر لى ما رآه من أوصافها . وبعد سنة أو سنتين رأيت تلك الصور .. ولم يكن أن سبق لى رؤية روزى في ثياب السهرة .. وقد كانت في تلك الصورة ترتدى ملابس شفافة . وكان شعرها مصفقا . تبدو في شكل غير ما ألفت رؤيتها فيه. ثم قال لروزى :

ـ الا تعرفين أن الرسام الماهر هو الذى يجب ان يبرز في صورتك لون بشرتك ، لأن هذا هو اجمل ما فيك .. ان الرسم الذى رسمته لك هو من اجمل مارسمته في حياتى .. ان جميع زوجات سماسرة البورصة حضروا عندى فى الاستديو يرجوننى أن أرسم لهن صورا مثل صورتك ..

لقد علمت الآن ان روزى كانت تجلس لهذا الرسام ، ثم سالته

عما اذا كان بامكاني ان أذهب لأرى الصورة .,. وطريقة رسمها ..
فقال لي هيليار : انه لا يريد ان يريها لأى انسان الآن .. هذا
وقد كان هيليار اذ ذاك في الخامسة والثلاثين من عمره اسود الشعر
وكان يرسل شعره على قفاه .. طويل الشارب له لحية طويلة
مدببة .,. قضي جزءا طويلا من عمره في باريس .. ويذكر رساميها
مثل يونيه ماسيزلى وريتوا وغيرهما مما لم تسمع عنهم ابدا ..

كما يذكر بالسخرية سير فردريك لاينون ومستر الما ..
ومستر ج . ف . دانسي الذين نكن لهم فى نفوسنا كل اعجاب ..
واحترام .. وعلمت ان هيليار قضى وقتا طويلا في فلورنسا ، كما عاش
في لندن تسع سنوات . وعلمت أنه افتتح دارا للرسم في فلورنسا
وتصادف أن زرت تلك المدرسة بعد ذلك بسنوات وسألت عنه ..

وكان على ما يبدو ذا موهبة ممتازة .. اذ انى مازلت اذكر الى
الآن بعض الملامح الواضحة في الصورة التى رسمها لمسز دريفيلد ،
ولا ادرى الآن ماذا جرى لتلك الصورة هل اتلفت .. أو هي مخبأة
في مكان ما ووجهها الى الحائط فى دكاكين احد باعة الأشياء القديمة
فى شلسى .. وأعتقد انها ربما وجدت لها مكانا على أحد حوائط دكان
ما في الأقاليم ..

وعندما سمح لى اخيرا .. بزيارة الاستديو .. دخلت باحتراس
.. وكان هذا الاستديو يقع في شارع فولهام خلف سلسلة من الدكاكين
فى ممر غير نظيف .. وتوجهت فى ظهر يوم السبت من شهر مارس ،
وكان الاستديو عبارة عن غرفة وصالة : الاولى للرسم ، والثانية للنوم
والأكل . وكان يتولى تحضير طعامه بنفسه .. وينظف الأوانى وأدوات
الرسم .. وعندما وصلت كانا يتناولان الشاى .. وكانت روزى
ماتزال ترتدى الملابس التى كانت جالسة بها امامه وقت الرسم ، ثم
قادنى هيليار الى غرفة الرسم .. حيث كان يرسم وراء الستائر
الكبيرة المدلاة على الحائط وقال :

ـ هذه هي الصورة ..

ووجدت الرسم في حجمها الطبيعي الا قليلا .. في رداء من الحرير الابيض ولم ادر ما اقوله له .. ثم سألته :

ـ متى ستنتهي ؟

فاجاب :

ـ انها انتهت ..

فخجلت لذلك لأنه دل على اني ليس لدى الذوق الفنى الذى يجعلنى أفهم الرسم .. ثم قلت :

ـ انها مطابقة تماما للطبيعة .. هل تفكر في ارسـالها الى الأكاديمية ؟

فقال :

ـ لا . ربما أرسلها الى جرد سفينون .. أنظر الى روزى وحدق فى الرسم .. ثم قال لها هيليار :

ـ اجلسي جلسة الرسم يا روزى ودعيه ينظر ويقارن ..

وقامت ووقفت فوق مقعد الرسم . وحدقت النظر فيها وفي الرسم وانتابنى شعور عجيب كأنما أغمد احد خنجرا في قلبى .. ولكنه على كل حال لم يكن شعورا مفزعا .. بل كان أقرب ما يكون الى الاستحسان . وفجأة احسست بحالة من الضعف فى ركبتى والآن لا ادرى ما كان فى ذاكرتى .. هل هو روزى الطبيعية أو الرسم ؟ لأن ذهنى انصرف عادة .. عندما يخطر على بالى منظرها وهى في لباس البحر .. عندما رأيتها فيه لأول مرة منذ خمس وثلاثين سنة ، وكانت لا تبدو في مثل تلك السن .. اذ لم تكن في وجهها اية تجاعيد .. ولم تكن تقاسيم وجهها على قدر كبير من الجمال .. كذلك فانها لم تك تشبه السيدات العظيمات التى كانت صورهن تعرض عادة فى المحلات التجارية .. وكان انفها القصير غليظا نوعا ما .. أما عيناها

فكانتا صغيرتين وفمها واسعاً • ولون عينيها كانت تشوبه زرقة كزرقة زهرة العنبر .. عيناها تبتسمان مع شفتيها الحمراوين الناطقتين بالاغراء •• أما ابتسامتها فكانت اروع واحلى ما رايت •• كان لون وجهها باهتنا عدا ماتحت عينيها فقد كانت ذا زرقة خفيفة .. شعرها ضارب الى الصفرة في لون الذهب .. وكانت بصفة عامة تحدث في الناظر اليها تاثيرا .. وكان وجهها مشرقا اشراق القمر لا اشراق الشمس .. واذا كنت أشبهها بالشمس عندما تشرق في ضباب الفجر الابيض ..

وقد رسمها هيليار وسط لوحة القماش واقفة وكفتا راحتيها الى الأمام ورأسها مائل قليلا الى الخلف .. في وضع اضفى الجمال على عنقها ..

انها وقفت كممثلة تؤدى دورها وقد ارتبكت عندما فوجئت بالتصفيق .. وقفت كعروس تستهوى الحب . تعرض نفسها فى طهر لانها كانت تمثل اغراض الطبيعة فى احضان محب •. كانت نحيلة الجسم .. صدرها بارز وكذلك فخذاها ولما راى مسز بارتون الصورة فيما بعد ـ قالت عنها انها ذكرتها بكبش الضحية ..

الفصل الخامس عشر

كان ادوارد دريفيلد يعمل ليلا ولما لم يكن لدى روزى ما تعمله فانها كانت تقترح عليه أن تخرج مع اصدقائها ـ انها كانت محبة للرفاهية وكان كابتن فورد مشهورا بالبذخ فكان يصطحبها فى عربته للعشاء فى مطعم كاتارى او سافوى ـ حيث ترتدى أفخر الملابس .. وكذلك كانت تخرج فى صحبة هارى ستافورد الذى وان يكن مفلسا فانه كان يقلد الأغنياء فى التظاهر بالصرف وياخذها معه فى عربة هانسام صغيرة حيث يتناولان العشاء فى مطعم روماند أو فى أحد المطاعم الأخرى الصغيرة المعروفة في حى ـ هو ـ لقد كان هارى ممثلا بارعا ولكن التفاهم معه لم يكن سهلا ولذلك كان قليلا ما يجد عملا .. وهو في الثلاثين من عمره وجهه غير جميل ولكنه بشوش .. وكانت روزى تحب فيه روحه المرحة في شئون الحياة .. وملابسه وان كانت مهلهلة الا انها مصنوعة عند أشهر حائكى الملابس في لندن ... ولو انه لم يكن يسدد ثمنها ، وقد كان يتردد على سباق الخيل حيث يدفع في الرهان كل ما لديه واذا ربح فانه لا يلبث ان ينفق جميع ما ربحه وقد اخبرتنى روزى انه سعى ذات يوم ليحصل على نقود تمكنه من اخذ روزى للعشاء .... ومرة أخرى اقترض جينهين من مدير المسرح حتى يتمكن من مصاحبتها للعشاء ..

لقد كانت روزى تحب الحديث عن بلاكستابل ، واعتقد ان هذا كان مما يحبب لها الخروج معى وقالت لى :

ـ انها تذهب اليها كل أسبوعين فترة الليل فقط لترى امها ..

انى لا أستطيع ان انسي ما كنت أسمعه عنها في بلاكستابل وما رايته بنفسي فى حديقة منزلها ثم فكرت في أمر لورد جورج .. وهارى .. وينفورد وكابتن فورد الذين كنت دائما اراهم معها انها كانت تعاملهم معاملة الزملاء وبدون تكليف .. وكانت تجهد في ان تسمع من يكون حاضرا المواعيد التى تضربها لهم ..

وعندما كانت تنظر الى احد ـ فان نظرتها كانت دائما مصحوبة بابتسامتها الساذجة المعبرة ذات الجمال السحرى .. وعندما كنا نجلس أحيانا فى احدى قاعات الموسيقى كنت أنظر الى وجهها ولم اكن اعتقد انى أصبحت عاشقا لها ـ بل كنت استمتع بالنظر الى شعرها الذهبى وجسمها المائل الى صفرة الذهب .. واتضح ان هليار الرسام كان على حق عندما يصفها بالجمال البالغ ..

واذكر مرة أن بحثت عنها في منزلها في شارع ليجيباس ، واخبرتنى خادمتها انها تلبس ملابسها وطلبت منى الانتظار في الردهة، وبعد قليل حضرت في ثوب من القطيفة السوداء وعلى رأسها قبعة مزينة بريش النعام . وكنا ذاهبين الى البافيلون وارتدت الملابس المناسبة ، وبدا عليها من الجمال ما يسترعى انتباه الناس ولم اخف شدة اعجابى بها .. وفى آخر الليالى عندما كنا عائدين من كاتربرى وعند وصولنا الى باب منزلها مددت يدى لتحيتها وابتسمت وتقدمت الى ..

ـ انت ايها العبيط الكبير ..

ثم قبلتنى قبلة لم تكن طويلة ... أو مثيرة .. ولما استقر فمها على فمى شعرت بحرارة ، ودلفت من الباب ودخلت ، وتركتنى ، فدهشت حتى لم استطع ان أقول شيئا وقابلت قبلتها بغباء وبقيت جامدا لا اتحرك .. فعدت الى منزلى وخيل الى انى ما أزال اسمع ضحكاتها ترن في اذنى انها كانت ضحكات استهزاء أو ضحكات مؤذية . ولكنها بسيطة وصريحة .. تعبر عن الحب .. انها كانت مغرمة بى ..

الفصل السادس عشر

لم اخرج بعد ذلك مع روزى لمدة اسبوع .. فقد كانت ذاهبة الى هافرشام لقضاء ليلة مع امها ..

وكنت انا ايضا مشغولا ببعض المقابلات في لندن .. ثم سالتنى عما اذا كنت استطيع الذهاب معها الى مسرح هاى ماركت .. وكان المسرح مزدحما ولم يكن من السهل الحصول على مقاعد خاليـــة . ولم أرد الجلوس في المقاعد الرخيصة الخلفية .. وقبل الذهاب تناولنا قليلا من الشراب في مقهى الموتيكر ، ثم وقفنا وسط الزحام اذ لم يكن ـ حين ذاك ـ نظام للدخول ، ولهذا فقد هجم المتزاحمون الى الداخل عندما فتحت الأبواب وتعبنا جدا حتى جلسنا وبعد انتهاء التمثيل خرجنا وسرنا فى حديقة سانت جيمس ، وكان الليل جميلا جدا فجلسنا على احد المقاعد . واشرق وجه روزى ولمع شعرها في ضوء النجوم . وكانت فى كامل جمالها ولا أعرف كيف أصف الاحساس الذى شعرت به نحوها . وكانت فى حالة مريحة من المودة والأنس فى غاية الرقة .. وفى هذه المرة بدات أنا بتقبيلها فلم تعترض ، واستجابت لقبلاتى في هذا الجو الشاعرى ، ومر علينا وقت لم ادر ان كان قد طال او قصر ثم قالت لى :

ـ انى احس بالجوع .

فضحكت وقلت :

ـ كذلك انا ..

ـ الا يمكن ان نذهب لتناول شيء من السمك والبطاطس ؟ .

ـ يمكن بالطبع .

ثم قمنا وسرنا فى شارع فيكتوريا وتوجهنا الى مطعمهم فى هورس فيرى ، وكان الوقت متأخرا ،وتناولنا طعاما وشرابا وأكلنا بشهية وفي طريقنا الى منزلها مررنا ببيتى فقلت لها :

ـ ألا تحبين الدخول معى لقضاء بعض الوقت اذ انك لم تدخلى منزلى للآن ؟ .

فقالت :

ـ ولكن ما رايك في صاحبة البيت ..

فقلت لها :

ـ انها نائمة كالحجر .

فقالت :

ـ سأدخل .

ثم فتحت الباب وكان الدهليز مظلما فامسكت بيدها لاقودها الى غرفة الجلوس وهناك خلعت قبعتها وفكت شعرها بسرعة ،وبحثت عن مرآة كانت فوق المدفأة .. ثم طلبت أن تدخل غرفة النوم لأن بها مرآة أفضل ، ثم أضاءت مصباح النوم .. حيث دخلت روزى ورفعت المصباح بيدى لتستطيع رؤية وجهها ، وجعلت انظر اليها في المرآة وهى تصفف شعرها .... و ... و .

ثم مدت يدها الى شعرى وجعلت تربت على وجهى .. بعد ذلك شعرت بالخجل لهذا التصرف الذى لم يكن يليق بى فى مثل هذا الظرف ، وغلبنى البكاء لأن رغبتى فيما وقع كانت طاغية جدا ولم استطع السيطرة على نفسى ، ولما رات روزى بكائى قالت لى :

ـ ما هذا يا عزيزى ، لماذا تبكى .. لاتفعل . لاتفعل ..

واحاطت عنقى بذراعيها وجعلت تبـــكى أيضـاً ، ثم قبلتنى فى وجهى وعينى وخدى المبللين بالدموع ، ثم قالت :

ـ يجب ان اخرج لانى لا احب أن ترانى صاحبة المنزل ..

فقلت :

ـ لا يزال أمامنا متسع من الوقت ..

ثم تركت الفراش واوقدت المصباح ثم اتجهت الى المرآة وعقدت شعرها وجعلت انا أتامل في قوامها الجميل .. أنها كأنما خلقت للحب .. بعد ذلك تسللت الى الطريق ، وكان الميدان خاليا والشمس قد بدات فى الشروق ، وسرنا يدا بيد الى ان وصلنا شارع ليمباس حيث قالت :

ـ اتركنى هنا فقد لايعلم احد ما عسى أن يكون ..

فقبلتها وتركتها وسارت متئدة ... أما أنا فلم أستطع العوده للفراش وسرت الى شاطىء النهر ...

الفصل السابع عشر

بعد ذلك ولمدة عام ظلت روزى تتردد على منزلي وتبقى معى عدة ساعات .. وفي بعض الأحيان كانت تقضي الليل كله معى . ولا أزال اتذكر ساعات الصباح المشمسة عندما يعتدل جو لندن .. وعندها كان وقع اقدامنا في الطريق يسمع في هدوء الليل حيث كنا نجلس تحت بعض المظلات في صمت وانشراح ويمر بنا رجل الشرطة يتامل في وجوهنا ويشتبه فينا احيانا .. وأحيانا كان يبدو على وجهه كأنما يعرف أمرنا لقد كنت اشعر بالسعادة لمصاحبة روزى واحببتها حبا شديدا . لقد كانت سهلة الانقياد ومريحة وأخلاقها تحبب الناس فيها .

وقبل أن اصبح عشيقها كنت أسائل نفسي عما اذا كانت صديقة لآخرين .. مثل هليار وهارى . واخيرا سالتها هذا السؤال فقبلتنى وقالت :

ــ لا تكن ساذجا أنت تعلم أنى أحبهم انى اخرج معهم وهذا كل ما فى الامر ..

ثم خطر لى أن أسالها عن علاقتها بلورد جورج ولكنى ترددت خيفة أن تغضب وانا لا احب أن اراها غاضبة ، وتفاديت سماع كلمة مؤلمة منها في هذه المناسبة حيث لا أستطيع الصفح عنها . لقد كنت ــ اذ ذاك ــ شابا في الواحدة والعشرين من عمرى وكان الآخران أكبر منى . وشعرت أن روزى تحب غيرى ، ولذلك فلم أكن أستطيع التباهى بانى حبيبها الوحيد عندما كنا نجلس مع الآخرين في حفلات

الشاى بعد ظهر كل يوم سبت ، حيث كنت افكر في الليالى التى قضيناها سويا . ولم يكن اكثر الناس يعلم بهذا السر غير ان هيليار كان دائما ينظر الى بارتياب كانه يحاول ان يحل لغزا وجعلت افكر فيما اذا كانت روزى قد ذكرت له شيئا عن علاقاتنا ، وقلت لها :

ـ انى اخشي أن يكون هليار قد فهم شيئا عن علاقتنا .

فلم ترد على ونظرت الى بعينيها الزرقاوين البسامتين وقالت :

ـ لا تتعب نفسك بالتفكير فى هذا الامر .. انك دائما سيىء الظن

ولم اكن في يوم صديقة له او لكابتن فورد الذى يعتبر اننى شخص لا طعم له (وهذا ما كنته فعلا) وان كان دائما مغرما ولكنه لم يابه بى ابدا . وفي احد المرات طلب منى هارى الذهاب الى المسرح واخبرت روزى فقالت :

ـ لا مانع من أن تذهب معه انك ستقضي معه وقتا ممتعا .. انه دائما يثير فى نفسى الضحك ..

وقد ذهبت معه وتناولنا العشاء سويا وجعل يسرد لى ما يعرفه عن الممثلين ، والممثلات ـ ان روحه مرحة ساخرة وكان يتندر على كابتن فورد لأنه لم يكن يحبه . وحاولت ان أحمله على الكلام عن روزى غير أنه لم يكن لديه ما يقوله عنها ، وساءلت نفسى عما اذا كان دعانى لهذا العشاء لأنه يعتبرنى عشيق روزى فاظهر لى هذا الرد . وقلت لكنه اذا كان قد علم فان غيره أيضا لابد أن يكون قد علم . ولم أر منه الا كل ود وصداقة ..

بعد ذلك ظهرت شخصية جديدة في شارع ليمباس ،انها شخصية يهودى يدعى جاك كوبير ، وهو تاجر ماس من امستردام كان يقضي اسابيع قليلة فى لندن لبعض أعمال .. و لاادرى كيف تعرف على دريفيلد وزوجته وما اذا كان تردده على منزلهما من باب الاعجاب بدريفيلد ككاتب . ويبدو أن هذا ليس هو السبب .. انه لا شك

رجل غني ولم يخف اعجابه بروزى لانه كان يرسل لها وردا كل يوم ولم أكن أطيق رؤيته وكنت اشمئز من طريقة كلامه بالانجليزيةوكرهتني فيه تودده لروزى ، كما تضايقت من طريقة معاملته لأصـــدقائها ، ولاحظت أن كابتن فورد كان يكرهه أيضا .. ولكن من حسن الحظ ان اقامته في لندن لم تكن طويلة .. وكان فورد يقول ان النساء دائما تحب الرجل النطاط ..

قلت :

ـ انه انسان غير مهذب بالمرة ..

فقال فورد :

ـ هذه هي الناحية الظريفة فيه ..

مضي على ذلك اسبوعان أو ثلاثة لم أر فيها روزى لانها كانت تخرج دائما مع هذا الرجل كل ليلة تقريبا الى المطاعم الفـاخرة والمسارح ، وهذا ما آلمني وأثار غضبي ، ولكن روزى قالت لي :

ـ انه لا يعرف احدا في لندن ..

فقلت :

ـ ولكن الا ترين انه شخص فظيع ؟

فقالت :

ـ لا ... انه يدخل على نفسي السرور .

فقلت :

ـ ولكنه مثابر على ملازمتك ..

فقالت :

ـ حسن انه يسرني بهذا وليس في ذلك ما يؤذيني .

فقلت :

ـ انه عجوز وضخم وفظيع . انا لا أطيق النظر اليه .

فقالت :

ـ لا أعتقد انه بهذه الرداءة .

فقلت محتجا :

ـ لا شأن لك به ـ هذا رجل سافل جدا ..

فهزت روزى راسها وكانت هذه عادة رديئة .. وقالت :

ـ حقا ان هذا أمر مضحك ذلك الكره من الانجليز للاجانب ولقد حمدت الله عندما عاد هذا الرجل الى امستردام ووعدتنى روزى بانها ستتعشي معى في اليوم التالى في مطعم سوهو .. ثم حضرت الى منزلى في عربة هانشوم . وخرجنا سويا ولما جلسنا في المطعم رايتها تلبس قبعة من الفرو ، وقالت :

ـ ان جاك (التاجر) اشتراها لها قبل سفره بيوم وان ثمنها مائتا جنيه ..

فقلت لها :

ـ ألا ترين أن دريفيلد سيعجب لهذا ؟

فقالت :

ـ سأقول له أن ثمنها عشرون جنيها فقط ، وانى اقترضته من محل رهونات .

وكانت روزى مزهوة بهذه القبعة ومشغولة بها طوال الوقت غير ملتفتة الى مشاعرى مما غاظنى واعتبرتها امراة غبية ومن السوقة ، فقلت في نفسي ان جاك لا يدفع مثل هذا المبلغ الكبير لمجرد الصداقة، ولابد أن يكون بينه وبينها علاقة غير شريفة ، لانه كان يخرج معها كل ليلة . وقد أطال اقامته فى لندن كما أنه كان يرسل لها نقودا بعد سفره . وظللت طول وقت وجودى معها في المسرح لا افهم شيئا من

الرواية ، وتمنيت لو كان عندى نقود لاشترى لها مثل هذا الفراء ، واطلب اليها ان ترد هذا الفراء الى جاك .. ولبثت طول الوقت صامتا لا اتكلم .. وقد لاحظت هي ذلك وقالت لى :

ـ انت صامت هذه الليلة ..

فقلت :

ـ انا ..

فقالت :

ـ هل تشكو من شيء ؟ •

فقلت :

ـ ابدا انا على مايرام .

نظرت الى دون أن تلتقى عيناى بعينيها ، ولم تقل شيئا وبعد انتهاء المسرحية ركبنا عربة هانسوم ، لأن الدنيا كانت تمطر ، وأعطيت السائق العنوان فى شارع ليمباس ، وظلت صامته الى ان وصلنا شارع فيكتوريا ، وهناك قالت لى :

ـ الا تريدنى أن اذهب معك الى منزلك ؟

فقلت :

ـ كما تشائين ..

فرفعت غطاء العربة واعطت السائق عنوان منزلى واخذت بيدى، وظلت ممسكة بها فى صمت ـ ونظرت بعينى خارج العربة فى حالة انفعال لكرامتى ، ولما وصلنا الى منزلى .. أخذت يدها عند النزول من العربة وقدتها الى داخل البيت دون كلمـــة ، وخلعت قبعتى وسترتى ، والقت هي بقبعتها والفرو على المقعد وتقدمت الى متسائلة:

ـ لماذا تبدو هكذا متجهما ؟

فقلت :

ـ لست متجهما .

ونظرت الى الناحية الأخرى فاخذت وجنتي بين يديها وقالت :

ـ كيف تكون بهذا الغباء .. لم كل هذا الغضب ؟ . الثن جاك اعطاني هذا الفرو ؟ .. انك لا تقدر على شراء مثله .

فقلت :

ـ طبعا لا استطيع ..

فقالت :

ـ وكذلك تيد لا يمكنه ، انه لا يجوز أن تنتظر مني أن أرفض شيئا كهذا غالي الثمن ، لقد كنت طول حياتي اتمنى أن يكون لدى مثله .. وهذا لا يعني شيئا بالنسبة لجاك ..

فقلت :

ـ لا يمكنك أن تتوقعي اني أفهم انه اعطاك هذا لمجرد الصداقة.

فقالت :

ـ ربما كان ذلك . ولكنه على كل حال عاد الى امستردام ولا يدري أحد متى يعود ..

قلت :

ـ على انه ليس هو الشخص الوحيد ..

فنظرت الى روزى بعد ذلك الكلام بغيظ ، فابتسمت لي وليس في استطاعتي أن أصف حلاوة ابتسامتها ـ وكانت نبرات صوتها في غاية الوداعة .. وقالت :

ـ لم تتعب نفسك يا صديقي في التفكير في الآخرين ماذا يضيرك من هذا الا أقضي معك وقتا سعيدا ـ الست سعيدا وأنت معي ؟ .

فقلت :

ـ ان هذا شيء فظيع .

فقالت :

ـ حسن انه لمن الحمق أن تكون بهذا الغباء وهذا الانزعاج . لم لا تكتفي بالسرور بما تحصل عليه ؟ .. متع نفسك كلما اتيحت لك الفرصة انا جميعا سوف نموت وندفن في مدى أعوام وماذا يهم بعد هذا ؟ دعنا نتمتع في حياتنا قدر ما نستطيع ..

ثم طوقت عنقي بذراعيها ، وضمت شفتاها شفتي ، فنسيت غضبي ، ولم اتذكر الا جمالها وعطفها ، ثم قالت هامسة :

ـ يجب أن تقبلني بحالتي التي انا بها .

فقلت :

ـ وهو كذلك ...

الفصل الثامن عشر

في تلك الاثناء كلها لم اكن ارى دريفيلد الا قليلا فان انشغاله في الكتابة شغل معظم وقته ... وكان منهمكا يكتب قصصه في الليل ولكن كان يمتنع عن الكتابة مساء كل يوم احد .. كان يسر بلقائي .. وان كانت عنايته الآن اتجهت الى من هم اشهر واكبر مني وقد بدا يشعر بالزهو والكبرياء ، فلم يعد بعد ذلك الشخص المازح الذى كان في بلاكستابل ، وزالت عنه الميول السوقية ، وكان يدعى من وقت لآخر الى الحفلات المسائية للتحدث بعد العشاء ، وكان يدعى الى الاندية الادبية . وبدا يتعرف بكثير من الشخصيات خارج المحيط الادبى .. كما كثر استدعاء السيدات المولعات بالتعرف الى عظماء الادباء له .. وكانت روزى تدعى معه من باب المجاملة فقط .. وان كانت لا تذهب في معظم الأحوال .. وحتى اذا ذهبت فلم يكن أحد يعيرها التفاتا ..

وفى تلك الفترة بالذات كتب مستر دريفيلد كتابه «كأس الحب». ليس من شأني أن أتعرض لنقد كتبه ، ولكني اسمح لنفسي ان اقول انه لم يكن اعظم كتبه شأنا وانتشارا عند الجمهور ، ولكني أراه اعظمها متعة وتشويقا ، ان فيه نوعا من الجحود البارد لا تجده في أمثاله من الكتب الانجليزية ، انه منعش له مذاق كمذاق الكعكة الحريفة لا تستطيع ان تأكلها مرة واحدة لقوة طعمها ولكن لها نكهة في الحلق .. ان هذا الكتاب من بين كل كتبه الذى كنت أتمنى ان يكتبه وقد اخبرتني روزى انه كان يأمل أن يحصل منه على مبلغ ثلاثمائة جنيه ليشترى منها منزلا على النهر مدة الصيف .. ولكن

الصحف المعارضة هاجمته بشدة في عامود كامل ووصفته بانه كريه وانه ربما يكون له تاثير ضار على الشباب الانجليزى ، وقالت عنه : ان فيه اهانة للانوثة . وقال الصحفيون : انه خطر على اخلاق الشباب والشابات ، وطلبوا مصادرته وابلاغ النائب العام واتفقوا جميعا على عدم ملاءمة موضوعه . واذا تقدم كاتب جرىء ممن يفهمون القصة وتجرا على القول بان هذا احسن ماكتبه دريفيلد فلن يلتفت احد اليه .. وامتنعت المكتبات عن اخذه وعرضه .. كل هذا لم يكن مالوفا لدريفيلد ، ولكنه احتمله بهدوء الفلاسفة وهز كتفيه وقال :

ـ اليس مافيه صحيح ؟ .. فليذهبوا الى الجحيم . انى انما اعبر عن الحقائق ، وقد سانده في هذه المحنة اصدقاؤه ، واصبح الاعجاب بكاس الحياة رمزا لتقدير الجمال ، ولم تتردد مسز بارتون فى التصريح بأن الكتاب تحفة نادرة .. وانه وان كان لم يحن الوقت بعد لابراز هذ الرأى في الصحف الاسبوعية فان عقيدتها فى عبقرية دريفيلد لا تتزعزع . ومن الغريب انك اذا قرأت الآن هذا الكتاب الذى اثار كل هذه الضجة فلن تجدا فيه اية كلمة تخدش اى انسان برىء .. أو ما يثير الاشمئزاز في نفس قارىء قصة في هذه الايام ..

الفصل التاسع عشر

بعد ذلك بسبعة اشهر .. بعد ان هدات العاصفة حول هذا الكتاب ـ كاس الحياة ـ وبعد أن بدا دريفيلد في قصته التي طلعت تحت عنوان (مع فاكهتهم) كنت إذ ذاك في السنة الرابعة من دراستي الطبية . واثناء وجودي في قاعة المستشفى الرئيسية لانتظار الجراح الذي كنت ارافقه في المرور على المرضي ، ووجدت على رف الكتب برقية مرسلة على عنواني في المستشفى ، لأن المرسل على ما يبدو لم يكن يعرف عنوان منزلي .. هذا نصها :

ارجو الحضور لمقابلتي الساعة الخامسة مساء اليوم دون تأخير للاهمية

ايزابيل ترافورد

فذهبت لهذه الصديقة ، اذ سبق لي أن قابلتها نحو اثنتي عشرة مرة خلال السنتين الاخيرتين ، ولم استرع انتباهها مطلقا ، ولم اتردد على منزلها أبدا .. وكنت أعلم ان من يترددون عليها لاخذ الشاي قليلون . قلت في نفسي . انه بالنظر لقلة عدد الموجودين .. فلربما رأت انه لا باس من وجود طالب معهم .. ولكن البرقية لا يفهم منها مايوحي باحتمال كهذا .. ولما حانت الساعة الخامسة انتهيت من عملي وبعد عشرين دقيقة وصلت الى شيلي .. حيث كانت مسز بارتون ترافورد تقيم في احدى عماراته في شقة على شاطيء النهر وعندما وصلت كانت الساعة السادسة ، ولما دخلت غرفة الانتظار بدأت أعتذر عن التاخير فقاطعتني وقالت :

ـ ليس هذا مهما .. لقد كنت افترض انك لا تستطيع الخروج من المستشفى ، وكان زوجها حاضرا ، وكنت أشعر بالجوع والعطش . وقد اشارت لى مسز بارتون الى شخص كان جالسا على مقعد في الغرفة عند دخولى ، ولما أشارت اليه وقف وقالت :

ـ اعتقد انك كنت تقابله عند ادوارد دريفيلد ..

ـ كنت قابلته مرة أو أكثر وكنت لا اميل اليه ، لقد كان رجلا اشقر ضخما أزرق العينين ـ له وجه مكتظ باللحم أشيب الشعر ناهز الخمسين ... معروف لجميع من يترددون على منزل دريفيلد ، وبعد ان اجلستني مسز ترافورد بجوارها من باب الحفاوة قدمت لى الشاى والزبد .. ثم قالت :

ـ ألم تر عائلة دريفيلد أخيرا .. ؟

ـ كنت هناك يوم السبت الماضي ..

ـ ألم تر احدا منهما بعد ذلك ؟

ـ لا .

ثم جعلت مسز ترافورد تنظر الى زوجها مرة والى مستر نيوتن مرة أخرى كانها تريد ان تقول شيئا فقال نيوتن وفي عينيه نظرة ماكرة :

ـ ان الدوران فى الكلام لافائدة منه ـ ياازيابيل .

فاتجهت مسز ترافورد الى وقالت :

ـ اذن انت لاتعرف ان مسز دريفيلد قد هربت من زوجها :

فبهت ولم اصدق مااسمع وقلت :

ـ ماذا ؟

فقالت :

ـ ربما كان من الاحرى ان تخبر انت يا الجود « مستر نيوتن » عن ذلك .. فاضطجع الجود في مقعده وتشابكت اصابع يديه وقال :

ـ توجهت لزيارة ادوارد دريفيلد الليلة الماضية بشسان قطعة ادبية ـ أراجعها معه بعد تناول العشاء ، وكان الليل جميلا ففكرت في الذهاب اليه لانه كان ينتظرني وكنت أعلم أنه لايخرج ليلا الا لامر هام مثل تناول العشاء مع لورد ماير أو لحضور عشاء في الاكاديمية .. تصور مقدار دهشتي وشدة حيرتي عندما وصلت الى منزله ، وشدة حيرتي ، لقد وجدت باب منزله مفتوحا ووجدته واقفا بالباب .. وانت تعلم أنه كان معتادا على ان يتمشي يوميا في وقت معين حتى ان اهالى الحي كانوا يضبطون ساعاتهم على موعد خروجه .. وفي يوم ما خرج من منزله مبكرا ساعة ، فادرك الاهالى انه لابد ان يكون لهذا سبب وان شيئا فظيعا قد وقع ، ولم يكن في يده لا عصاه ولا قفازه وكان يرتدى الجاكتة التى يلبسها وهو في المنزل وكانت رفيقة واسعة .. وكان في منظره ذهول موحش . ثم سألت نفسي : ماعسي أن يكون قد حدث من امر مثير بينه وبين زوجته أو انه ربما كان خارجا بسرعة لالقاء خطاب عاجل في البريد ، ويبدو انه لم يرني ، وخامرني شك في انه ربما كان لايريد مقابلتي واستوقفته وقلت له :

ـ ادوارد فنظر الى مذعورا وأؤكد انه مرت به لحظة لم يعرفني وقلت له ما الشيء الهام الذى يجعلك تبدو مهموما هكذا ؟.

فقال :

ـ آه .. اهو انت ؟ فقلت له : الى أين تذهب ؟ فقال : لاشيء ورفض العودة معى الى المنزل وقال دعنا نتمش ، وكانت خطواته سريعة، ورأيت من الحكمة أن اقوده الى الطريق وتحدثت معه عما كان يشغلني ثم سألته عما اذا كنت أستطيع أن أقوم له بخدمة فقال ان روزى تركتني ولم أفهم أولا ماكان يعنيه واحسست أنه كان ينتظر منى أن اعزيه في هذا الحادث ..

ثم سكت الجود عن الكلام ولمعت عيناه ..

فقالت مسز ترافورد :

ـ مدهش جدا .. يا الجود .

وقال زوجها :

ـ انت عظيم ...

ثم قال الجود :

لقـــد علمت من دريفيلد انه وصله بالبريد خطاب يقول ان زوجته هربت مع لورد جورج .

فقلت انه تاجر في بلاكستابل .. ثم قال الجود :

ـ لقد قلت له دعنا نواجه الحقائق .. ان روزى كانت تخونك مع كل انسان .

فجذب يده بشدة من يدى وزمجر بغضب ثم تخلص منى وهرب وبلغ منى الارتباك مبلغه حتى انى لم أدر ماذا افعل ثم قالت مسز بارتون :

ـ كان يجب عدم تركه على هذه الصورة فلربما كان يفكر في الانتحار بالقاء نفسه في نهر التيمز ..

ثم نظرت الى مسز بارتون وقالت :

ـ نحمد الله على أنه لم يندفع في تصرفاته .

ثم نظرت الى وقالت :

ـ لقد توجهت الى شارع ليمباس بمجرد أن أخبرتنى مسـز نيوتن ولم أجد ادوارد ولكنى علمت من الخادمة أنه خرج على التو، ومعنى هذا أنه لابد ان يكون قد عاد الى المنزل بعد الفترة التى خرج فيها عندما قابله الجود ، ولهذا فسوف تدهش عندما تعلم لمـاذا استدعيتك ..

فلم أجب وانتظرت بقية كلامها .. ثم قالت :

ـ انك رايت ادوارد وزوجته أول مرة في بلاكسـتابل اليس

كذلك ؟ يمكنك اذن ان تذكر لنا من هو لورد جورج لان ادوارد قال انه من بلاكستابل .

- انه متوسط السن متزوج وله ولدان وزوجة .

- ولكن لن يكون هذا انى لاأعرف لوردا يدعى جورج كيمب .. ان اسمه غير مكتوب فى سجل النبلاء .

فضحكت وقلت :

- انه ليس لوردا حقيقيا .. انه تاجر فحم في البلدة .. ويطلقون عليه هذا الاسم في بلده لانه ضخم .. ان الامر لا يعدو ان يكون فكاهة .

فقالت مسز بارتون :

- يجب علينا جميعا ان نساعد ادوارد البائس بكل ما في استطاعتنا ..

ثم القت نظراتها على وجعلت تفكر - ثم قالت :

- انه اذا كان كيمب قد هرب مع روزى فلابد من ان يكون قد ترك زوجته ثم قالت :

- هل يمكنك أن تقوم بعمل انسانى ؟

قلت :

- نعم .

قالت :

- تذهب الى بلاكستابل لنعرف الخبر ربما كان واجبنا أن نتصل بالزوجه . ولكنى لم اكن احب التدخل في شئون الغير .

وقلت :

- أنا لاأدرى كيف افعل هذا ..

- ألا يمكنك مقابلتها ؟

ـ لا .. لا أستطيع .

ثم قالت :

ـ حسن أن تحاول الاتصال بها وأنا سأحاول رؤية دريفياد وآخذ موافقته بعدم البقاء وحده ونحن مستعدون لسكنه معنا ، فان لدينا مكانا مناسبا ، وسأدبر الامر كله حتى يتمكن من مزاولة كتاباته. الا ترى يا الجود أن هذا افضل مايعمل ؟ فاجاب :

ـ قطعا .

ـ ولماذا لا يقيم عندنا بصفة نهائية .. ولو لبضعة اسابيع .. مثلا ؟

ـ وفي الصيف يستطيع أن ينتقل معنا الى بريتانى اعتقد أنه يحب ذلك ..

ثم نظر الى تريفورد وقال :

ـ ان السؤال المباشر الآن هو ما اذا كان هذا الشاب يستطيع أن يذهب الى بلاكستابل لان هذا الامر ضرورى ؟.

فقالت زوجته :

ـ انت لاتستطيع أن ترفض .. هل ترفض ؟!

ـ ان الامر هام وانت الشخص الوحيد الذى يستطيع مساعدتنا .

انها بطبيعة الحال لم تكن تعرف درجة أهمية هذا بالنسبة الى ايضا .. انها لم تكن تدرك الغيرة الشديدة التى أحسست بها .. ثم قلت لها :

ـ انا لااستطيع مغادرة المستشفى قبل يوم السبت .

فقالت :

ـ هذا مناسب .. ان كل اصدقاء ادوارد سيكرمونك ، ومتى تعود ؟

ـ سأكون فى لندن فى باكورة يوم الاثنين ..

الفصل العشرون

ومضت سنون لم أر فيها الجود نيوتن ، لانى عندما وصلت الى بلاكستابل وصلنى خطاب من مسز بارتون ترافورد (التى كانت قد أخذت عنوانى) طلبت منى لاسباب ستذكرها لى عندما ترانى ألا اذهب اليها في شقتها . بل نتقابل في الساعة السادسة بغرفة انتظار ركاب الدرجة الاولى في محطة فيكتوريا بمجرد انتهائى من عملى فى المستشفى يوم الاثنين .. ففعلت ذلك ومكثت بضع دقائق حتى وصلت فاقبلت على بخطوات متعثرة وقالت :

ــ حسن .. هل أدرك ما تخبرنى به .. فلننتح ركنا هادئا للجلوس .

ثم انتحينا مكانا وجلسنا فيه ... ثم قالت :

ــ يجب أن أوضح لك سبب مقابلتى لك هنا .. ان ادوارد يقيم معى ، وقد كان ممتنعا أول الأمر ولكنى تمكنت من اقناعه .. ولكنه فى حالة عصبية ومتهيج ومريض ولم أحب أن أخاطر برؤيته لك ..

وقد اخبرت مسز ترافورد بحقيقة قصتى وكانت من وقت لآخر تهز رأسها بالموافقة ولكنى لم آمل ان احملها على أن تفهم ما وجدته من الهيجان في بلا كستابل ، فان المدينة كانت واقفة على قدم وساق .. لان مثل هذا الحادث المثير لم يقع مثله فيما مضى ، وهو حديث كل انسان . وأصبح الامر مضغة في الافواه .. وقد اختفى لورد جورج . وقبل ذلك باسبوع اذاع انه ذاهب الى لندن لأمر

يخص عمله .. وبعد يومين قدمت ضده شكوى في بلاكستابل بانه قال انه سيجعل من بلاكستابل بلدا سياحيا .،. واجبر على أن يقترض نقودا من جهات متفرقة واذيعت في المدينة شتى الاشاعات ... وفوجىء عدد كبير ممن أودعوا أموالهم عنده بضياع اموالهم ولم يكونوا يعرفون التفصيلات عن حقيقة الموضوع ، لانه لاعمى ولا عمتى يعرفان اى شيء عن هذه الاعمال .. كما اني شخصيا لم افهم شيئا مما قالوه .. ولكنه توقع حجزا على اثاث منزله وأعلن عن بيع اثاثه وترك زوجته لا تملك شيئا بالمرة ..وكان ولداه في العشرين والحادية والعشرين يعملان في تجارة الفحم ، ولكن هذا المتجر ضاع فيما بعد .. وهرب جورج بكل ما كان معه من النقود وتبلغ نحو الف وخمسمائة جنيه كما قيل .. وعلمت أن أمرا صدر بالقبض عليه .. وفهم انه غادر البلاد . وقال البعض انه سافر الى استراليا .. وقال آخرون انه ذهب الى كندا ، وقال عمى نرجو أن يتمكنوا من القبض عليه .. انه يستحق الاشغال الشاقة المؤبدة ..

وكانت موجة عارمة .. كل الناس لا يعطفون عليه لانه كان دائما مشاغبا انه غشهم بما كان يقيمه من حفلات يقدم فيها المشروبات .. ونصب لهم هذا الفخ الذى وقعوا فيه ..

ولكن حدث ما هو أسوأ من ذلك ـ فان خادم الكنيسة أخبر عمى في امسية يوم أحد بالخبر السيىء : وهو انه في السنتين الاخيرتين كان جورج يلتقى بروزى دريفيلد في هافرشام كل اسبوع تقريبا وانهما كانا يقضيان الليل في حانة .. ولهذا فقد صرف جورج كثيرا من النقود التى جمعها من الأهالى فى هذا السبيل ..

فقال عمى :

ـ أظن انهما هربا سويا ..

فقال خادم الكنيسة :

ـ لن ادهش ان كان هذا قد حصل ...

وبعد العشاء .. وكانت الخادم قد خرجت .. ذهبت الى المطبخ

ـ لأتكلم مع ماري آن التي عادت من الكنيسة وسمعت تلك الأخبار .. واعتقد ان الجمهور في الكنيسة لم يصغ الى ما قاله عمى من مواعظ .. ولكنه انشغل باخبار لورد جورج ..

ثم قلت :

ـ ان القس يقول انهما هربا ..

فقالت مارى :

ـ طبعا .. لابد ان يكونا قد هربا . انه كان الرجل الوحيد الذى أحبته ... انها كانت تهجر اى شخص بمجرد اشارته لها باصبعه .. مهما يكن هذا الشخص .

فاطرقت بنظرى الى الارض وكنت اقاسي من معاناة مقاومة غرائزى الجنسية .. وكنت غاضبا من روزى لانى اعتقدت أن سلوكى معها كان رديئا جدا ـ وقلت :

ـ اعتقد اننا لن نراها ثانية ...

فقالت مارى :

ـ نعم .

ولما أخبرت مسز ترافورد بكل ما سمعته تأوهت ولم أدر أن كان تأوهها بسبب اقناعها اولا وآخرا ثم قالت :

ـ هذا هو على كل حال نهاية روزى ..

ثم مدت يدها ووقفت وقالت :

ـ انا لا ادرى لم يتزوج هؤلاء الادباء .. أمثال تلك الزيجات .. انه لامر محزن حقا .. اشكرك كثيرا على ما قمت ، وقد وضح لنا الآن كل شيء ونرجو ألا يؤثر ما حصل على عمل ادوارد ..

وواقع الامر انه يخامرني شك في انها كانت تعطينى اقل ما يمكن من المعلومات .. فأخذتها الى محطة فيكتوريا وأركبتها في أحد الاتوبيسات الى شارع كنجز في تشلسى وعدت الى منزلى .

الفصل الواحد والعشرون

لم أعد اتصل بدريفيلد وشعرت بخجل في البحث عنه لقد كنت مشغولا بالامتحان ... ولما انتهيت منه سافرت للخارج واتذكر انى قرأت خبرا غير دقيق فى الصحف بانه عثر على روزى .. ولم تصل الى معلومات اخرى عنها ..

وكانت أمها تتلقى قليلا من النقود من وقت لآخر .. عشرة او عشرين جنيها فى مظروف مسجل من نيويورك . ولكن لم يكن بالمظروف خطاب او عنوان ولكن كان المفهوم أنه من روزى .. لا لسبب الا لان احدا آخر لم يكن يعقل أن يرسل لمستر جان مثل هذا ..

وبعد مرور سنوات ماتت الأم ولابد ان يكون هذا النبأ قد وصل الى روزى لان خطاباتها انقطعت ..

الفصل الثانى والعشرون

تقابلت مع الوزى ((كير)) في يوم الجمعة في محطة فيكتوريا لناخذ قطار الساعة العاشرة وخمس دقائق الى بلاكستابل وجلسنا مضطجعين في احد اركان العربة ، وفهمت منه بوجه التقريب كل ما حصل لدريفيلد بعد قرار زوجته وقد استطاع روى في الوقت المناسب أن يكون صديقا صدوقا لمسز بارتون ترافورد .. تعرفه ويتذكرها وقالت أن هذا لم يكن منه مفر ولم استغرب عندما سمعت انه سافر معها ومع مستر بارتون الى القارة وسكنا معا فى شقة واحدة ولما تقدم العمر بمسز ترافورد تأخرت صحتها والتزمت غرفة نومها .. وكان يقول انه يزورها مرة كل أسبوع .. انه كان طيب القلب وبعد وفاتها كتب عنها مقالا اظهر فيه اعجابه بها وبمواهبها وعقليتها وقد تمكن مستر بارتون من اقناع دريفيلد بالبقاء عنده لمدة سنة كان فيها محل عطف وتقدير مسز بارتون التى كانت سيدة جمعت الى شفقة النساء حيوية الرجال ولها قلب طيب (من ذهب) وعين لا تخطىء الهدف وفي منزلها كتب كتابه المسمى (بفواكههم) لانه اعتبر هذا الكتاب كتابها ، وكان فى تقديم الكتاب لها عرفان من دريفيلد بفضلها وقد اخذته الى ايطاليا وكان معهما بارتون طبعا ، لان مسز ترافورد تعرف جيدا شكوك الناس في انتهاز الفرص للقيل والقال ، وكان في يدها مجلد من تأليف راسكين يتحدث فيه عن مباهج وجمال هذه البلاد الباقى على الازمان وكانت تعد حفلات في بعض الاحيان تقوم فيها بمقام المضيفة

حيث يستطيع دريفيلد أن يستقبل ضيوفه الذين يتكاثرون مع ازدياد شهرته .

ويجب أن نسلم بأن هذه الشهرة المتزايدة راجعة الى حد كبير اليها ، وان شهرته العظيمة انما ظهرت في السنوات الاخيرة بعد أن توقف عن الكتابة . غير انه مما لا شك فيه ان أسس هذه الشهرة وضعتها مسز ترافورد وليس مرجع هذا فقط الى المقالات التى كان يكتبها مستر بارتون ترافورد في الصحف الاسبوعية من أن مستر ادوارد دريفيلد يعتبر من زعماء كتاب القصة في بريطانيا بالاضافة الى أن مسز ترافورد كان لها قلم قوى وكانت تكتب عنه بعض المقالات لانها كانت تنظم الاستقبالات فى كل مناسبة يخرج فيها دريفيلد احد كتبه ، وكانت تذهب هنا وهناك تقابل محررى الصحف واصحابها وذوى النفوذ فيها وتدعو الى تلك الحفلات المسائية كل من تتوسم فيه المنفعة واقنعت دريفيلد ان يلقى الكلمات في الحفلات التى كان يقوم بها رجال الاعمال وافهمته بأن صورته الفوتوغرافية يجب أن تظهر في الصحف الاسبوعية وكانت تراجع كل حديث يدلى به وظلت عشر سنوات تظهره امام الرأى العام في صورة حسنة .

ولقد برزت مسز ترافورد في المجتمع حقبة طويلة ولكنها لم تستغل مركزها ولم يكن يدعى الى اى حفلة دون أن تكون معه وكان يصمم على أن يذهبا ويعودا سويا .

ولكن أمرا خطيرا قد حدث .. فقد أصيب دريفيلد بالالتهاب الرئوى اصابة شديدة للغاية ووصل الى حالة اليأس فى فترة ما وقد قامت مسز ترافورد من جانبها بكل مايمكن ان تقوم به سيدة مثلها .. وكانت تمرضه بنفسها ولكنها لم تستطع ، فقد كانت سنها فوق الستين وكان عليها أن تبحث عن ممرضة متخصصة وبعد أن تحسنت صحته نوعا ما أشار الأطباء بضرورة سفره الى الريف وانه لابد من مرافقة ممرضة له لأنه كان ضعيفا جدا وقد رات مسز

ترافورد أن يذهب الى يورت فورت لتستطيع أن تتردد عليه كـل اسبوع وتتأكد من حسن سير الأمور ولكن دريفيلد أحب الذهاب الى كورنول ووافق الاطباء على أن جو بيتراس الخفيف مناسب له وكان لابد أن يلاحظ ان سيدة رقيقة مثل مسز ترافورد لابد أن يكـون لديها مناعة من المرض وقد سمحت له بالذهاب واختارت الممرضة التى تعرفها وتثق فيها للقيام بهذه المسئولية الخطيرة ووضعت بين يديها لا مستقبل الأدب الانجليزى فحسب .. ولكن على الأقل حياة أكبر شخص يمثل وجهة نظر هذا الادب انها كانت مهمة لاتقدر بثمن ..

وبعد مضى ثلاثة أسابيع كتب ادوارد الى مسز بارتون ترافورد يخبرها انه تزوج ممرضته بعقد عرفى فلم يبد على مسز ترافورد أى تأثير وقابلت الخبر بصمت ولم تفكر فى أخبار بارتون .. ان دريفيلد كان عجوزا غبيا ، انها لم تعتب عليه وكتبت خطابا لبقا اليه والى عروسه تقول فيه انه قد سرها أن يكون لها صديقان بدلا من صديق واحد .. والتمست منهما ان يحضرا للاقامة عندها عنـد عودتهما الى لندن وأخبرت كل من كانت تلقاه بانها سرت كثيرا جدا بهذا الزواج .

ان ادوارد دريفيلد سيصبح عاجلا متقدما فى السن ولابد أن يكون معه من يرعاه بطريقة افضل مما تقوم به ممرضته فى المستشفى وكانت دائمة المدح فى مسز دريفيلد الجديدة .. وتقول انها لم تكن فى الواقع جميلة ولكن كان لها وجه ظريف جدا وانها لم تكن السيدة المثالية ولكن ادوارد لم يكن ليرتاح مع سيدة عظيمة انها كانت السيدة التى تلائم حالته الآن .

الفصل الثالث والعشرون

وعندما وصلت انا وروى الى بلاكستابل وجدنا سيارة ، لا هى بالفخمة ولا هى بالحقيرة .. فى انتظارنا وقدم لى السائق ورقة بأن اتغدى مع مسز دريفيلد فى اليوم التالى ثم اخذت تاكسى وتوجهت الى شارع تيروكيبى فقد علمت من روى أن لوكاندة جديدة انشئت اسمها لوكاندة البحرية الجديدة .. ولكنى لم أرد أن أترك لوكاندة أيام صباى الى لوكاندة أحسن وقد وجدت أن تغييرا حدث فى المحطة التى لم تكن فى محلها القديم بل فى شارع جـديد ولكن لوكاندة بيروكسى لم تتغير .. وقد وجدتها فى صورتها القديمة ولم يكـن بمدخلها احد .. ووضع السائق حقيبتى فى المدخل وانصرف وناديت فلم يرد على احد .. فذهبت الى البار حيث وجدت سيدة صغيرة تقرأ فى كتاب من تاليف مستر كوبينون ماكولى وسالتها عما اذا كنت أستطيع أخذ غرفة ؟ فنظرت الى نظرة عدم ارتياح وقالت ربما كان ممكنا وأردت الا أضايقها فقلت هل يوجد من يستطيع ارشادى اليها .. فوقفت ونادت بصوت خشن .

ـ « كاتيل »

فسمعت من يقول :

ـ ماذا ؟

ـ ان سيدا هنا يريد غرفة .

وبعد برهة جاءت سيدة مسنة ، ملابسها قذرة جدا وشعرها

مبعثر على رأسها وأخذتني الى الطابق الثالث حيث وجدت غرفة صغيرة مهملة فقلت لها :

ـ أليس عندك غرفة أفضل ؟

فقالت :

ـ ليس عندي غرفة بسرير واحد .

فقلت :

ـ فلتكن غرفة بسريرين .

فقالت :

ـ سأذهب واسأل مسز برنتفورد

ثم أخذتني الى الطابق الأول حيث توجد مسز برنتفورد ودفعت باب غرفتها ولما فتحت الباب وجدتني أمام سيدة بدينة ذات شعر أبيض منسق تقرأ كتابا . ويبدو أن كل انسان في بيروكي يهتم بالأدب .. ونظرت الى السيدة البدينة بغير اكتراث عندما قالت لها :

ـ ان الغرفة رقم ٧ لم تعجبه .

وقالت لها :

ـ أريه الغرفة رقم ٥ .

وبدا لي عندئذ إني لم أكن محقا حين رفضت عرض مسز دريفيلد في الاقامة عندها وكذلك رفضت الاخذ برأي روى في الذهاب الى اللوكاندة البحرية الحديثة في هاي ستريت وكان السريران يغطيان معظم مساحة الغرفة وأعتقد أن النوافذ لم تفتح منذ شهور فقلت :

ـ لا بأس بهذا وطلبت العشاء .

فقالت كاتيل :

ـ تستطيع ان تحضر ماتريد انه ليس عندنا هنا شيء ولكنى ساذهب واحضر لك وانا اعرف ما هو موجـــود عادة فى اللوكانــدة الانجليزية الصغيرة . وبعد العشاء خرجت اتمشي الى الشاطيء حيث يوجد متنزه جديد بجوار البحر به عدد من الاكشاك(بنجالوا)وفيلات مكان الغيطان الفسيحة التى كانت فى ذاكرتى وقلت لنفسى .. انه حتى بعد هذه السنين الطويلة لم يتحقق ماكان لورد جورج يتوقعه من تحـــويل بلاكســـتابل الى مصيف بحرى .. ورايت ضـــابطـا متقاعدا .* وسيدتين مسنتين تتمشيان معه على الأسفلت . وهبت من ناحية البحر رياح باردة .

- فعدت الى المدينة وهناك فى المسافة بين شارع بيروكى وشـارع دوق كانت جماعات من الناس واقفة رغم عدم ملاءمـــة الطقس .. بعيونهم الزرقاء وكان عجيبا ان ارى بعض البحارة لايزالون يضعون فى آذانهم اقراطا ذهبية وليس هذا قاصرا على كبارهم بل على الصغار منهم الذين تتراوح اعمارهم بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة فسرت في الشارع وهناك رايت المحل الذى كنت اشترى منــه الورق لتنظيف ادوات الكنائس مع الكاتب العجوز الذى قابلته صدفة . ووجدت هناك بعض دور السينما وتناولت الطعام على مائدة كبيرة تتســـع لعشرة اشخاص وكان البرد شديدا وسالت عما اذا كان فى الامكان الحصول على مدفاة فقالت كاتى :

ـ ليس فى شهر يونيو .. اننا لانوقد الا بعد شهر ابريل .

فقلت :

ـ سادفع لك الثمن .

ففكرت قليلا ثم قالت :

ـ وليس فى يونيو ولكن فى اكتوبر

وبعد ان انتهيت من العشاء ذهبت الى البار لأتناول زجـــاجه بورت .

وقلت لفتاة البار :

ـ أريده خفيفا .

فقالت :

ـ نعم انه خفيف . ثم قالت : في ليالي الجمعة يتواجد عندنا كثير من الناس .

فقلت :

ـ سافكر في ذلك .

وبعد ذلك رأيت شخصا بدينا احمر الوجه ابيض الشعر قادما من الخلف فظننته صاحب اللوكاندة وسالته هل انت مستر برنتفورد ؟

فقال :

ـ نعم انا هو

فقلت له :

ـ أنا أعرف والدك هل لك في زجاجة من البورت ؟ وذكرت له اسمي وكان أسمي أيام صباى معروفا في البلدة ولكنى لاحظت ان ذكر اسمي لم يلفت نظر هذا الرجل وقبل منى زجاجة البورت وسالنى .

ـ اانت هنا فى عمل . انه ياتى عندنا من وقت لآخر بعض التجار ونحن دائما نحب ان نقدم لهم كل ما يريدون .

فقلت :

ـ انى حضرت لمقابلة مسز دريفيلد .

وتركته يتصور ما يشاء .. فقال :

ـ كنت ارى الرجل العجوز كثيرا انه كان معتادا على الحضور هنا لتناول كاس من الجعة .. انه لا يحضر بانتظام ولكن كان يحضر احيانا فى النهار ويجلس ويتحدث مع الموجودين انه كان يتكلم طويلا ولكنه لايهتم مع من يتكلم ولكن زوجته لم تكن راضية ابدا عن حضوره الى هنا .. لقد كان هذا تحديا منها بالنسبة لرجل فى

هذه السن وعندما لايجدونه فى المنزل كانت مسز دريفيلد تعلم انه موجود هنا وقد اعتادت ان تسال عنه هنــا بالتليفــون ثم تحضر سيارتها وتقابل زوجتى وتقول لها انها لاتحب الدخول الى البار وتطلب منها ان تخبره بوصولها فيخرج اليها وكان يطلب من برنتفورد ان تخبر زوجته انه موجود عندنا وتدق التليفون للسؤال عنه ، وهو رجل عجوز من مواليد هذه الأبرشية وهى تعرف حكاية زوجته الاولى التى من بلاكستابل والتى ماتت منذ سنوات .. ولم أكن أعرف ذلك .. لقد كان رجلا مضحكا وعلمت أنهم فى لندن يهتمون به وقد يكون لاشىء مثلك ومثلى وقد كان دائما يعمل ما يريحه وكنا نحاول ان نجلسه على احد المقاعد المريحة ولكنه كان يصمم على الا يجلس الا على البار .. قال انه رأى الحياة هنا .. وفى اعتقادى انه كان فى هذه البلدة أسعد منه فى أى مكان آخر ، انه كان دائما يقــول انه يحب البار .

لقد كان شخصاً غريباً .. يذكرنى بأبى الا ان أبى لم يقرأ فى حياته كتابا وكان يشرب زجاجة كاملة من البيرة الفرنسية كل يـوم وكان فى الخامسة والسبعين عندما توفى وكان مرضه الأخير هــو اول مرضه .

الفصل الرابع والعشرون

فى اليوم التالى كان الجو باردا رطبا .. ولكنه غير ممطر ومرت فى شارع هاى ستريت الى الأبرشية وعرفت الأسماء المكتوبة على الدكاكين .. وهى الأسماء الكنيسية المعروفة من أجيال .. الجان الكيمب الكدبر ، الاجبولاندز ولكنى لم أر احدا ممن كنت اعرفهم ورأيت كانى شبح يمشى .. فى الطريق .. حيث كنت اعرف تقريبا كل انسان وان لم اكن اكلمهم ، ولكنى اعرف أشكالهم ومرت فجأة عربة صغيرة قذرة ثم توقفت . ونظرت خلفى وأبصرت شخصا ينظر الى مستغربا وكان رجلا طويلا متقدما فى السن بدينا فترك العربة وتقدم الى وسالنى .

ـ الست أنت وللى اشيندن .

فميزته انه ابن الدكتور وكنا سويا فى المدرسة وكنا ننتقل من فصل الى فصل وعرفت أنه خلف والده فى مهنته .. وقال لى :

ـ هالوا كيف-أنت لقد كنت الآن فى الابرشسية لأرى حفيدى انه فى المدرسة التحضيرية الآن .. ادخلته بها فى أوائل هذا الفصل الدراسى . لقد كان ملبسه غير مهندم ولكن كانت له راس جميل ولا بد انه كان فى شبابه جميل الشكل ..

وعجيب انى لم انتبه اليه ..

فسالته :

ـ أاصبحت جدا ؟

فضحك وقال :

ـ لثالث مرة .

فذهلت لذلك .. لقد تخـرج وولد اولادا وتزوج اولاده وولدوا واصبح جدا واعتقد انه امضى معظم أيام حياته فى عوز وفقر كمـا بدا عليه وقد رايت فيه طابع القرية واظهار الشوق والتودد .. ان فى راسى خططا عن كتب وروايات تمثيلية مليئة بالمشروعات عن المستقبل وشعرت أن امامى طريق طويل للعمل والنشـاط على انى رايت انه يجب ان اظهر فى مظهر الرجل الكامل .. الذى اترايى فى اطاره ولقد تاثرت اذ لم يرد على خاطرى ان اسال عن الاخـوة الذين كنت العب معهم لما كنت طفلا او عن الاصدقاء القدامى الذين زاملونى وبعد ذلك وبعد سؤاله بعض الأسئلة السخيفة فارقته ثم اخذت طريقى الى الابرشية وهى عبارة عن منزل فسيح كثير الغرف بعيد جدا عن المبنى الذى فيه عمى .. وهو يقع فى حديقة واسعة وكان محاطا بغيطان خضراء يحمل اسم ناظر المدرسة التحضيرية ووجدت الحديقة مهملة والبركة التى كنت اصيد فيها مليئة بالحشـائش والغيطان تجـزات وتحولت الى قطع لتقام عليها ابنيـة وتحول مكان البرك الى محل انيق لشرب الشاى ثم تجولت فى المدينة وذهبت الى الميـنـاء فوجدتها مهجورة ولم اجد الا ثلاثة بحـارة جالسين خارج المخازن فنظروا الى عندما نظرت لهم وتداعى مخزن تجارة الفحم ولم يعد الفحامون يحضرون الى بلاكستابل .

ثم جاء وقت ذهابى الى فيرن فورت ثم عـدت الى بيركيى واخبرنى صاحبها أن عنده سيارة ديملا للايجار فقررت ان اركبهـا واذهب لتناول الغداء وعندما عدت وجدتها امام الباب وكانت سيارة قديمة .. جدا .. تحدث أصواتا مزعجة أثناء سيرها ففكرت فيما اذا كانت ستوصلنى الى المكان الذى أريده والغريب فيها انه كان لها رائحة تشبه تماما رائحة العربة التى كان عمى يستاجرها لأذهب فيها صباح كل احد الى الكنيسة وقد عادت بى الذكرى الى أيام طفولتى عندما

كنت اجلس على المقعد الامامى عند تناول العشاء الربانى وأمام عمتى او غير ذلك من الذكريات .

وعندما وصلت الى فيرن كورت وجدت مسز دريفيلـــد وروى يتمشيان فى الحديقة وتقدمت الى عندما نزلت من السيارة وقالت لى عندما سلمت على انى أعرض على روى الزهور .. ثم تنهـدت وقالت :

ـ ان هذه الزهور هى كل ما بقى لى الآن .

ولم يظهر عليها انها أكبر مما رأيتها منذ ست سنوات .. وكانت تلبس ملابس الحداد رشيقة انيقة وحول عنقها باقة بيضاء وكذلك على أكمامها ولاحظت ان روى يضع رقبة عنق سوداء حدادا على الراحل العظيم . ثم قالت مسز دريفيلد :

ـ سأريك الحديقة وبعد ذلك نذهب لتناول الغداء .

وبعد أن مررنا فى الحديقة ورأينا الزهور وكان روى يبـــدى أحيانا ببعض الملاحظات قالت مسز دريفيلد :

ـ هل تختار مكتب ادوارد انى أحافظ عليه كما لو كان حيا.. لم اغير فيه شيئا وستندهش عندما تعرف عدد من حضر لزيارة البيت وكل يرغب فى رؤية غرفة المكتب ..

ثم دخلنا من نافذة مفتوحة وكان على المكتب زهرية بها ورود وعلى مائدة أخرى بجوار المقعد عدد من مجلة اسبكتاتور وعلى مائدة أخرى كان الغليون الذى يدخن فيه دريفيلد وكان الحبر مازال فى الدواة ولكن الغرفة بدت أشبه ما تكون بمتحف .. ثم توجهت مسز دريفيلد الى أرفف الكتب وبابتسامة صغيرة نصفها سخرية والآخر مرح .. مدت يدها الى حيث يوجد نصف دستة من المجـــلدات الزرقاء ثم قالت مسز دريفيلد :

ـ انت تعلم ان ادوارد كان يمتدح عملك كثيرا ويعجب به انه كان يقرأ فى كتبك مرة ومرات .

فقلت : بادب :

ـ يسرني جدا ان أعلم ذلك .

وقالت مسز دريفيلد :

ـ اني أريد ان أوفر على روى كل العناء الذى يلاقيه وقد جمعت بقدر الامكان المواد التى حصلت عليها وقد كان ذلك من غير شك عملا غير سهل .* وقد صادفتني بعض صور فوتوغرافية قديمة وجدت انه يجب عرضها عليك . وبعد الطعام ذهبنا الى غرفة الاستقبال ولاحظت أيضا .. ان مسز دريفيلد قد نظمتها بذوق .. انها تتناسب وزوجة كاتب من كبار الكتاب .. اذ كل التحف التى كانت بها عليها مسحة الحزن كانها تعود الى ماض له مميزاته ووددت لو انى وجدت في هذا اليوم الشديد البرودة نارا فى المدفأة ولكن الانجليز شعب محافظ ولايصعب عليهم الحفاظ على مبادئهم على حساب تعب الآخرين .. وشككت فى امكان مسز دريفيلد اشعال نار قبل اول اكتوبر وقد سالتني عما اذا كنت قد رايت اخيرا تلك السيدة التى حضرت للغداء مع آل دريفيلد وقد استنتجت من أسلوبها الضعيف انه بعد موت زوجها الكبير لم تعد تسال عنها . وكنا جالسين سويا نتكلم عن المرحوم الراحل وكان كل من روى ومسز دريفيلد يوجهان الى أسئلة ليغرياني على ان أبيح بكل ذكرياتى وكنت اجمع قواى على الا ادع كلمة تخرج من فمى لا احب ذكرها وفى هذه الأثناء دخلت الخادمة تحمل صينية صغيرة عليها بطاقتان لشخصين وقالت :

ـ انهما موجودان فى عربة يسألانني عما اذا كان يمكنهما أن يريا البيت والحديقة .

فصاحت مسز دريفيلد :

ـ ما هذا الأمر المقلق ولكنها قالت : بخفة ونشاط : أليس من الغريب انى كنت اتحدث الآن عن النـــاس الذين يريدون رؤية المنزل والحديقة انى لا اجد دقيقة للراحة .

ثم قال روى :

ـ لماذا لاتقولى لهما انى آسفة .. وان هذا غير ممكن .

وقالت :

ـ اوه .. انى لا استطيع ذلك لأن ادوارد لايرضى بهذا .. ثم نظرت الى البطاقتين وقالت :

ـ ان نظارتى ليست معى .

واعطتنى البطاقتين وقرأت على احداهما هنرى بيروماكد من رجال جامعة فيرجينيا ومكتوب عليها بالرصاص ـ استاذ مساعد للغة الانجليزية .. وعلى البطاقة الاخرى جيان بول ادرهيل وعليه عنوان فى نيويورك .

فقالت دريفيلد :

ـ امريكيان قولى لهما انه يسرنى جدا دخولهما .

ودخل هذان الشخصان وكان منظرهما انيقا وكانا يرتديان ملابس انجليزية وكانا يكثران من الكلام ولكنهما كانا مؤدبين .. وقالا انهما فى رحلة أدبية فى انجلترا ولأنهما من المعجبين بادوارد دريفيلد وخطر لهما وهما فى طريقهما الى راى لزيارة هنري جيمس أن يلتمسا الدخول ليريا بقعة يحبها كثير من الناس .. وكان لاشارتهما الى راى ما لم يعجب مسز دريفيلد فقالت :

ـ اعتقد انه لابد وأن يكون لهما علاقات ببعض الناس هناك .

ثم قدمت هذين الامريكيين لروى ولى .. وقد عجبت كثيرا للطريقة التى نهض بها روى بهذه المناسبة يظهر انه القى بعض المحاضرات فى جامعة فيرجينيا ومكث مع أحد اعضائها البارزين ويظهر انه لا ينسي تلك الواقعة .. فسالهما :

ـ ما حال كذا وكذا .. وكيت وكيت .. وانه يعرف هناك اصدقاء العمر كان قد التقى بهم هناك .. اطباء اذكياء .

ثم تكلم الاستاذ الصغير موضحا لروى كيف انه مولع بكتبه .. وقد انضمت مسز دريفيلد الى محادثتهما بابتسامة الرضى .. ولكنى شعرت بأن ابتسامتها بدات تتحول قليلا الى الملل ربما لأن روى أسرف فى الكلام عن نفسه .. واطال .. ثم قال :

ـ ولكن لا اريد أن أضايقك بما كتبت .

وقال ذلك بصوت عال .. انما جئت لأن مسز دريفيلد عهدت الي بالشرف العظيم فى كتابة تاريخ حياة دريفيلد .

وهذا بالطبع ما أثار اهتمام الزائرين كثيرا .

ثم ودعنا الضيفان وجلست انا وروى كل على مقعده .

ثم قال روى :

ـ هذه غرفة مريحة .

فقلت :

ـ جدا

فقال . ان الرجل اشترى هذا المنزل منذ سنتين او ثلاث قبل الزواج .. وأرادت زوجته أن تحمله على بيعه ولكنه لم يوافق انه كان عنيدا فى بعض المناسبات انه كان لسيدة تدعى مس دولت .. وقال : انه لما كان صغيرا كانت امنيته أن يشترى هذا البيت وبعد أن اشتراه صمم على المحافظة عليه وكل انسان يعرف أن آخر شيء كان يريده هو أن يسكن في مكان يكون معروفا لاهله .. وفى احدى المرات استخدمت امى احدى الخادمات ثم ظهر لها انها من بنات دريفيلد ولما حضرت ايمى الى هذا المنزل كان مفروشا باحسن الاثاث من السجاجيد التركية والمركبات الحديثة على طراز منازل الطبقة الراقية ولم تغير شيئا فى نظامه لأن تلك كانت رغبته كان عنده مكتب أمريكى ذو غطاء متحرك من سنين عديدة كان يكتب عليه كتبه وكان شكله غير ملائم ولكنه تمسك به نظرا لارتباط حياته به وقد حاولت ايمى الخلاص منه اخيرا لأنه لا يساوى شيئا انها امراة عجيبة ومدهشة ان لها اسلوبها الخاص فى الحياة .

الفصل الخامس والعشرون

وبعد ان ودعت مسز دريفيلد الزائرين عادت تحمل تحت ذراعيها حافظة وقالت :

ـ ما الطفهما من شابين .. أود ان يقتدى بهما الشباب الانجليز فى حبهما للادب انى أعطيتهما صورة ادوارد وطلبا منى صـورة لى ووقعت عليها وقد سرا برؤيتك ياروى .. قالا انها كانت فرصة ذات قيمة ان يقابلاك ..

فقال بتواضع :

ـ لقد حاضرت فى أمريكا كثيرا انهما قرآ كتبى وانه أعجبهما منها النوع الحماسي .. وكانت فى الحافظة بعض الصـور الفوتوغرافية لجماعات من طلبة المدارس وصورة لدريفيلد ثم عرضت مسز دريفيلد صورة أخرى وقالت :

ـ هذه هى صورة روزى .

وكانت صورة روزى المسكينة قد صورها لها احـد مصـورى الأرياف منذ أكثر من اربعين عاما وكانت قبيحـة كانت واقفـة ومن ورائها حائط وهى تحمل باقة من الورد وكانت ثيابها مزركشة جـدا وعليها خمار ابيض وجعلت اتصور كم كانت جميلة فى ذلك الثوب .

فقال روى :

ـ انها تبدو حقيرة جدا .

فقالت مسز دريفيلد :

ـ لقد كانت صغيرة .

ثم أطلعنا على صورة اخرى لادوارد اخذت له عندما بدا يشتهر واخرى عندما كان له شارع واخرى عندما كان حليقا وكان وجهه نحيفا وظهرت فى أساريره التجاعيد .

ثم عثرت على الصور التى صورها لها هارى ريتيفود الممثل واخرى للرسم الذى رسمه ليونيل هاليار فاحدث ذلك فى نفسى اضطرابا لان هذا هو احسن شكل رأيتها فيه حيث كانت فى هذا الوقت مليئة بالحيوية والنشاط .. وكانت كانها تقدم نفسها مستجيبة لنداء الحب .

فقال روى :

ـ انها تترك فى نفسك صور البغايا ..

وقالت مسز دريفيلد :

ـ هذا اذا كنت تحب طراز الخادمة التى تجلب اللبن ، انا اراها كانها عبد ابيض وهذا ماكانت مسز مارتون ترافورد تطلقه عليها ذلك لان انفها كان عريضا افطس وشفتاها كبيرتين مما يجعل هذه التسمية الكريهة تنطبق عليها .. ولكنهم لايعرفون شيئا عن شعرها الذهبى .. وابتسامتها الساحرة .

فقلت :

ـ انه لم يكن فيها أى شبه بالزنجى الابيض انها كانت عذراء كالفجر .. انها كانت كزهرة الشاى ..

فابتسمت مسز دريفيلد وتبادلت النظرات مع روى وقالت :

ـ ان مسز ترافورد اخبرتنى عنها الكثير ولكن لاأريد ان أظهر بمظهر الحقد واخشى ان تكون سيدة غير ظريفة .

فقلت :

ـ هنا انت مخطئة انها كانت سيدة ظريفة جدا لم ارها ابدا ثائرة واذا طلبت منها اى شيء فانها كانت تعطيك ذلك الشيء .. فورا .. انا لم اسمع منها ابدا اى كلمة نابية ضد أى انسان .. لقد كان لها قلب من ذهب .

فقالت مسز دريفيلد :

ـ انها كانت قذرة جدا وكان منزلها دائما غير مرتب كنت لاتستطيع أن تجلس على مقعد لقذارته لم تكن تستطيع ان تنظر الى الاركان وكذلك كان شانها في ملبسها .

فقلت :

ـ ان ذلك لاينقص من جمالها وقد كانت طيبة بقدر ماكانت جميلة .

فانفجر روى ضاحكا .. ووضعت مسز دريفيلد يدها على فمها لتخفى ابتسامتها .

ثم قالت مسز دريفيلد :

ـ دع هذا يامستر اشندن وتعال لقد تركنا الموضوع .. انها على كل حال كانت امراة شهوانية ..

فقلت :

ـ أعتقد أن هذه كلمة نابية وتدل على الغباء .

فقالت :

ـ دعني اقل لك انها كانت سيدة طيبة في معاملتها لدريفيلد انها كانت نقمة في قالب نعمة .. واذا لم تكن قد هربت وتركته فقد كانت ستحمل هذا العبء طيلة حياته .. وبغير هذا التغيير لم يكن في الامكان أن تصل الى هذه الشهرة .

فقلت :

ـ انكم لا تعلمون انهـــا كانت امرأة بسيطة جدا .. ان غرائزها كانت صحية وعبقرية إنها احبت أن تجعل الناس سعداء انها أحبت الحب .

فقالت :

ـ هل تسمى هذا حبا ؟

ـ نعم انها كانت بطبيعتها عطوفة وودودة .

فقالت مسز دريفيلد :

ـ أنا لاأفهم ولازلت اعلن ـ انى لم أفهم ماالذى أعجب ادوارد فيها ؟

فقلت :

ـ يمكننى أن أقول لك انها لم تكن امرأة تثير الحب فقط .. بل العطف ايضا ، انها لم تكن غيورة بالنسبة للآخــرين ، انها كانت اشبه ببركة عميقة صافية في غابة يحب كل انسان ان يغطس فيها ولكنها لم تكن اقل برودة ، وصفاء .

فضحك روى ثانية وفى هذه المرة ابتسمت مسز دريفيلد قليلا دون أن تخفى ابتسامتها .

فقال روى :

ـ انه لمضحك حقا أن نراك هكذا وجدانيا .

فتنهدت ولاحظت انه عندما أظهر الجد يضحــك النــاس .. والحقيقة انه بعد فترة زمنية قرأت بعض الفقرات التى كتبتها من صميم قلبى حتى لقد حاولت أن اضحــك من نفسى واعتقد ان كل شعور برىء فيه شيء من عدم التعقل ولاأدرى سبب هذا .. الا ان يكون هذا الانسان الذى يسكن فى كوكب غير ذى دلالة بكل آلامه وكل كفاحه ليس الا دعابة فى عقل أبدى .

ورأيت أن مسز دريفيلد تريد ان تسالنى عن شىء سبب لهـا نوعا من الحيرة والارتباك ثم قالت :

ـ وهل تعتقد أنه يردها اليه لو رغبت فى العودة ؟

فقلت :

ـ انت اكثر معرفة به منى .. انا اقول لا أعلم لانه عندما تبرز فى نفسه ثائرة فلن يهتم بذلك الشخص الذى كان السبب فيها انى ارى فيه مزيجا غريبا من الشعور القوى والقساوة المتناهية .

فقال روى :

ـ لادرى كيف تقول ذلك انه كان احنى من رأيتهم .

فنظرت مسز دريفيلد الى بهدوء ثم ارخت عينيها .

ثم قال روى :

ـ لادرى ماحصل لها عندما ذهبت الى امستردام .

فقالت مسز دريفيلد :

ـ اعتقد انها تزوجت كيمب .. لقد علمت انهما اتخذا اسـما آخر وبطبيعة الحال فانهما لن يستطيعا ان يظهرا هنا مرة اخرى .

ـ متى ماتت ؟

ـ اظن من عشر سنوات

فقلت :

ـ كيف عرفت ؟

ـ من هارولد الابن .. انه يتردد للعمل فى ميدستون ولم اخبر ادوارد بهذا الخبر ، انه اعتقد انها ماتت من مدة طويلة .. ولم اجد مايدعو لتذكيره بالماضى ..

وقلت لنفسى لو كنت مكانه فانى لم أكن أحب ان يذكر لى احد ماكان ايام صباى .. انه على حق .

الفصل السادس والعشرون

تفضلت مسز دريفيلد وعرضت على أن تعيدنى الى بلاكستابل فى سيارتها ولكنى فضلت المشى ووعدت بان أتعشى فى اليوم التالى فى فيرن كورت .. ولأكتب الآن بعض ما قد أتذكره عن الفترتين حينمـا كنت ارى مسز ادوارد دريفيلد وحينما كنت مارا فى الطريق فكرت فيما عسى ان اقول ألم اتعلم أن الاسلوب هو فن الحذف والاختصار ؟ فاذا كان الامر كذلك فساكتب قطعة رائعـة .. اننى أنا الشـخص الوحيـد الذى يسـتطيع تعريفهم بكل شيء .. عن دريفيلد وزوجته الاولى ولكنى رأيت الاحتفاظ بهذا الامر لنفسى .. انهم قد اعتقدوا أن روزى ماتت .. انهم اخطئوا ان روزى كانت حيـة بكل معـانى الحياة .

ولما كنت فى نيويورك لانتاج تمثيلية ونشر اسـمى على الملأ بواسطة المندوب الصحفى اليقظ الذى سأنتج له الرواية وصـلنى ذات يوم خطاب لفت نظرى خط عنوانه ولاحظت انى اعرف هـذا الخط ولكنى لم استطع تذكر صاحبه فجعلت أفكر قبل أن أفتح الخطاب . وقدحت ذهنى محاولا أن أتذكر .. ولكنى لم أتمكن .. فبعض الخطابات أفتحها وأعجز عن قراءة العنوان .. والبعض أتركه أسبوعا دون أن افتحه ولما فتحت الخطاب اخيرا .. وقراته انتابنى احساس غريب ان الخطاب كان مقتضبا وهذا نصه :

لقد علمت الآن انك وصلت نيويورك وأود أن أراك ، انى لم أجد سكنا بنيويورك بعد ولكنى اسكن فى جونكرز انها قـريبة وتستطيع

الوصول اليها فى نصف ساعة اذا كان لديك سيارة واتوقع انك مشغول جدا ولهذا سأترك لك تاريخ اليوم الذى تحضر فيه وارجو الا تكون قد نسيت صديقتك القديمة على الرغم من اننا لم نتقابل منذ سنوات كثيرة .. (روزايجالدين) سابقا دريفيلد .

ووجدت ان العنوان صادر من البرميل وهى على مايظهر اما ان تكون لوكاندة او شقة فى منزل مفروش ثم هناك اسم شارع ثم يونكرز .. وقد انتابتنى رعشة لهذه المفاجاة ففى اثناء السنوات الماضية كنت احيانا افكر فى روزى وقلت فى نفسى انها لابد ان تكون قد ماتت ولكننى تحيرت لحظة لما قرات الاسم لماذا كتبت ((ايجاليدين)) ولم تكتب كيمب وخطر لى أنها ربما اختارت هذا الاسم .. وهو اسم من أسماء منطقة كنت عندما هربا من انجلترا واول ماخطر ببالى أن اعتذر عن عدم المقابلة لانى اشعر بالخجل عندما أقابل أشخاصا لم أكن قابلتهم من مدة طويلة ولكن الفضول تغلب على ورغبت أن أرى كيف هى الآن وماذا حدث لها وكنت ذاهبا فى عطلة نهاية الاسبوع الى دويز فيرى وامر فى طريق نيونكرز واستصوبت ان اذهب حوالى الساعة الرابعة يوم السبت التالى .. وكانت البراميل عبارة عن مجموعة شقق جديدة نوعا يبدو أن نازليها من طبقة راقية .. ولما وصلت الى سكنها اخبرها عامل التليفون بالمنزل الذى يعمل عليه بواب زنجى بانى موجود .. وصعدت بالمصعد واحسست بحالة عصبية وفتحت الباب لى خادمة زنجية وقالت : ادخل ان مسز ((ايجاليدين)) فى انتظارك ودخلت حجرة انتظار هى فى الوقت نفسه غرفة طعام .. لانى رايت فى آخرها مائدة من خشب الصنوبر وعليها غطاء واربعة مقاعد مما يسمونه جاكديان وكان فى الجانب الآخر طقم من طراز لويس الخامس عشر مزخرف ومزين بالحرير الدمشقى وعدد من الموائد الصغيرة الانيقة الصنع على بعضها فازات من الفضة وعلى كل منها مصباح كهربائى وكان هناك جرامفون من ابدع ما رأيت ..

وبعد خمس دقائق فتح باب واقبلت منه روزى في نشاط ومدت لي كلتا يديها وقالت :

ـ ما أحسن هذه المفاجاة انى أكره تلك السنوات التى مرت على فراقنا منذ ان تقابلنا آخر مرة وكانت روزى اذ ذاك تبلغ من العمر سبعين عاما على الاقل .. وكانت ترتدى ثوبا من قماش قطني خفيف. شيفون مزخرف قصير ومفتوح عند الرقبة احمر اللون وكذلك كان وجهها ولكنها بدت في صحة جيدة وكان شعرها مازال غزيرا ولكنه ابيض ولم يبق فيها مما كان الا ابتسامتها الساذجة الحلوة أما اسنانها فقد كانت دائما غير جيدة وغير منظمة وشكلها ردىء وقد استبدلتها الآن باسنان صناعية ناصعة البياض يبدو انها من اغلى نوع .

ثم احضرت الخادمة الشاى وقالت :

ـ انى لا استغنى ابدا عن الشاى ..

ثم قدمت لى قطعة فطير (كيك) وقالت :

ـ هذه هى احسن وجبات اكلي ... انى اعرف انه يجب الا اكثر من الاكل فان طبيبى دائما يقول لى لن ينقص وزنك اذا لم تمتنعى عن أكل الفطائر مع الشاى .

وكانت روزى كما عرفتها دائما قد أبقت على ابتسامتها ولاحت انه على الرغم من شعرها المصفف والبودرة فقد كانت هى هى .. كما عرفتها ثم جعلنا نتكلم كان لم يمض على فراقنا الا بضعة اسابيع وقالت :

ـ هل دهشت عندما وصلك خطابى انا كتبت كلمة دريفيلد كى تتذكرنى اننا اسمينا انفسنا ايجالدين عندما حضرنا الى امريكا وتركنا بلاكستابل .. لان جورج قد لاقى بعض متاعب ربما تكون قد عرفتها كتب يستطيع أن يبدأ فيه من جديد لعلك فهمت ما اعنى .

فهززت رأسي موافقا ... فقالت :

ـ مسكين جورج انه مات من عشر سنين كما تعلم .

ـ انى آسف لسماع ذلك .

ـ انه جاوز السبعين ولو انه لم يكن يظهر عليه هذا السن .. ان وفاته كانت حدثا عنيفا لى . لا يمكن أن تجد اى امرأة زوجا افضل منه .. انه لم ينطق بكلمة نابية من يوم أن تزوجنا الى أن مات ويسرنى انه قد ترك لى ما يكفينى لأعيش عيشة رغدة .

ـ يسرنى ان اعرف ذلك .

ـ نعم انه نجح في عمله هنا .. في أعمال المبانى لانه يحبها وكان يقول ان اكبر خطا وقع فيه انه لم يحضر الى هنا قبل ذلك بعشرين عاما انه كان من طراز الرجال الناجحين وهذا ما هو مطلوب هنا .

ثم قلت :

ـ الم تعودى الى انجلترا ؟

فقالت :

ـ لا . ان جورج كان يتحدث عن ذلك بعض الاحيان ولو لمجرد فسحة ولكننا لم نذهب قط وليس عندى ميل لهذا أنا أراها كأنها ميتة اذا قورنت بنيويورك وبعد موته أقمت هنا .

فقلت :

ـ ولم اخترت بونكرز ؟

قالت :

ـ انى دائما اميل اليها .. وكنت دائما اقول لجورج عندما تبلغ سن التقاعد فسنسكن فى بونكرز انى اراها وكأنها قطعة صغيرة من انجلترا .. قبل ان تعرف ميدستون او جيلد فورد أو ما اشبه فابتسمت ولكنى عرفت ماذا تقصد .. ان بونكرز بطرقها الملتوية عليها مسحة البيوت التجارية الانجليزية .. انى دائما أفكر في أهل بلاكستابل

.. واعتقد أن معظمهم قد مات وأعتقد انهم يعتقدون انى قدمت ايضا انى لم أذهب الى هناك منذ ثلاثين عاما .. ولم أكن أعرف ان اشاعة موت روزى قد وصلت الى هناك .. ربما كان بعضهم قد قال : ان جورج كيمب قد مات فظن الناس خطأ أن روزى ماتت ايضا .

ـ اعتقد لا يعلم احد هنا انك كنت زوجة دريفيلد ادوارد الأولى ..

ـ اوه .. لو انهم عرفوا ذلك لكنت ترى وكلاء الأنباء يروحون ويجيئون الى شقتى كأسراب النحل ان الامريكيين يحبون كثيرا مؤلفات دريفيلد ولو انى شخصيا لا أعنى بهذه المخالفات .

ـ انت لم تكونى يوما ما من كبار محبى القصة أليس كذلك ؟

ـ كنت افضل عليها التاريخ ولكنى الآن لا اجد الوقت الكافي للقراءة ان يوم الأحد هو يومى الكبير ان جرائد الاحد في هذه البلاد جميلة جدا لا تجد مثلها في انجلترا وكذلك فانى العب البريدج كثيرا .. انا أحب الاجتماعات .

واتذكر انى كنت اعجب بروزى ومهارتها عندما قابلتها اول مرة .. وعرفت انها لاعبة بريدج ممتازة .. سريعة جريئة دقيقة .. ثم عادت وقالت :

ـ لا تتصور ما احدثته وفاة دريفيلد هنا انهم كانوا دائما يذكرونه ولكن لم اكن اعرف انه بهذه العظمة انه دائما كان ملء الصحف كتبوا عنه ونشروا صوره وصور « فيرن كورت » وكان يقول دائما انه يود الاقامة في ذلك المنزل يوما ما .. لماذا تزوج هذه الممرضة كنت دائما افكر في انه قد يتزوج مسز « بارتون ترفورد » .. انه لم ينجب اطفالا .. أليس كذلك ؟

ـ لا

ـ لقد كان يود لو أتيح له أن يكون له اطفال وقد كانت ضربة مؤلمة له ان لم الد له اطفالا بعد الطفلة الاولى ٠

فقلت :

ـ لم أكن اعرف أنه كان لك طفل ؟

ـ نعم وهذا مادعا تيدى للزواج منى ولكنى قاسيت كثيرا في ولادتها وقال الأطباء انه لا يمكنك ان تلدى ثانية ولو أن هذه المسكينة قد عاشت لما كان من الممكن ان أهرب مع جورج لقد كانت في السادسة من عمرها يوم ان ماتت وكانت عزيزة على وجميلة ٠

فقلت :

ـ انك لم تذكرى ابدا شيئا عنها ؟

فقالت :

لا ٠ انى لم أكن اطيق التكلم عنها انها اصيبت بالالتهاب السحائى ونقلناها الى المستشفى في غرفة خاصة وسمحوا لنا بالبقاء معها ولا انسى ابدا الأدوار التى حدثت لها كانت تهذى طول الوقت ولم يستطع احد عمل أى شيء (ثم تهدج صوت روزى ..)

فقلت :

ـ أهذه هي قصة الموت التى عبر عنها دريفيلد في كتابه « كأس الحياة »

فقالت :

ـ نعم هى تلك ٠ ان أمر تيد كان عجيبا .. انه لم يطق التحدث عنها باقل منى ولكن كتب عنها كل هذا الكتاب انه لم يترك شيئا حتى الأمور البسيطة التى لم اكن الاحظها وقتئذ ثم تذكرتها بعد ذلك .. قد تظن أنه لا قلب له ولكن الأمر غير ذلك ان هذا الحادث ازعجه جدا .. بقدر ما ازعجنى وكان عندما يحضر الى المنزل ليلا يبكى كالاطفال٠

ـ قلت :

ـ انه كان شخصا عجيبا اليس كذلك .. ؟

ـ ان قصة « كأس الحياة » هي التي اثارت عاصفة من الاحتجاج وان موت الطفلة وما اعقبه بعد من مسائل خاصة قد القي على رأس دريفيلد هذا الخطأ النسبي انى أتذكر الوصف تماما انه كان مزعجا خاليا من العاطفة . ان لم يذرف الدموع من عين القارىء ولكن الغضب الذى حاق به بسبب هذه الطفلة وان الله سبحانه وتعالى سيحاسب النـاس يوم الحساب على مثل هـذا .. اما هذا الكتاب فهو نوع من الكتابة ولكن اذا كان هذا الحادث اخذ على انه من طبيعة الحياة .. فهل يكون هذا هو ماحفز مشاعر الجماهير ضد الرجل الذى بلغ الثمانين من عمره وهذا هو ما دعا النقاد أن يروا فيه انه أشر من فاحش وانه ملحد ففى هذه القصة قد عاد الوالدان من المستشفى وكانا فقيرين يحصلان على قوتهما بصعوبة ويتناولان الشاى وكان الوقت متأخـرا حول السابعة وكانوا مجهدين بعد معاناة دامت مدة أسبوع وقد حط بهما الحزن ولم يجد احدهما ما يقوله للآخر وظلا صامتين في اسي ومرت الساعات ووقفت الزوجة فجاة وذهبت الى غرفة نومها لتلبس قبعتها وقالت انى خارجة ... فقال لها وهو كذلك .

وكانا يقيمان قرب محطـة فيكتوريا وسـارت الزوجة فى طـريق قصر باكنجهام ومرت بالحديقـة ثم وصلت الى « بيكاديللى » واتجهت ببطء الى الميدان ولفت نظـرها انسان فوقفت واتجهت اليـه فقـال لها صباح الخير .. فوقفت وابتسمت فقال لها الا ترافقيني لتناول شراب .. فقالت : لا مانع .

وسارا الى مطعم فى الشارع المجاور المزدحم حيث يحضر الرجال لالتقاط النساء . ثم شربا زجاجة من الجعة ثم تحدثت معه وتبادلت الضحكات فذكرت له حكاية غير صحيحة عن نفسها عرض عليها ما اذا كانت تذهب معـه الى منزلهـا فقالت له انهما يسـتطيعان الذهاب

الى لوكاندة واخذا فيها غرفة قضيا فيهـا الليل وفى الصباح اخـذت الأتوبيس من ميدان الطرف الأغر ومشت خلال الحديقة وعادت الى زوجهـا الذى كان قد جلس في البهو للافطار وبعـد الافطار توجه للمستشفى ليرتبا امر الجنازة .

ـ فسألت روزى هل يمكنك ان تذكرى لى شيئا ما تم في امر الكتاب بعد وفاة الطفلة وما الذى حدث فعلا ؟

ـ نعم لقد كان هذا من سنين طويلة وماذا في هذا من الغرابة .. أنا لا أخشي اخبارك انه لم يكن حسن التصرف ان كل همه كان الظن والتخمين وادهشنى انه كان يعرف كل هذا وانا لم اخبره ابدا باى شيء .

ثم تناولت روزى سيجارة ووضعتها على المائدة بخفة ولكنها لم تشعلها . واستمرت تقول :

ـ ثم عدنا من المستشفى كما ذكرت واحسست انى لا استطيع الجلوس بهدوء في الغرفة وشعرت بموت كل شيء وبكيت حتى لم استطع ان ابكى اكثر وكنت مجهـــدة وحاول تيد ان يخفف عنى ولكنى قلت بالله اسكت فلم يقل لى كلمة بعد ذلك وكنا قد اخذنا غرفتين في لوكاندة فوكسهول في الطابق الثانى غرفة نوم .. وغرفة انتظار وبهذا اضطررنا ان ناخذ الطفلة المسكينة الى المستشفى لانى لم اكن استطيع تمريضها فى مسكننا فضلا عن ان صاحبة المنزل رفضت بقائها فيه وقال تيد ان نقلهـــا الى المستشفى افضـــل حيث يمكن تمريضـــها وبعد عودتنا حضرت لنا صاحبة المنزل وسالت عن صحة الطفلة فقال لها تيد انها ماتت اما انا فلم اقل شيئا ثم احضرت لنا الشـــاى ولم اشرب وان كان تيد قد صمم على ان اتناول قليلا من الطعام ثم جلست الى النافذة ولم التفت الى صـــاحبة المنزل عندما حضرت للنظافة ولم اطق ان يكلمنى احد وكان تيد يقرا كتـــابا او على الأقل كان يتصنع القراءة وكنت ارى دموعه تنهمر من عينيه وظللت انا انظر من النافذة

وكان ذلك في أواخر شهر يونيو وفي الثامن والعشرين منه وكان النهار طويلا وكنت أرى الناس يروحون ويجيئون وخيل الى ان النهار لا نهاية له وفجأة شعرت بالليل واوقدت المصابيح وازدحمت الطرقات بالناس وشعرت بشدة التعب وكانت قدماى ثقيلتان كالرصاص .

فسألت تيد لم لا يضيء الجاز .

فقال :

ـ أتريدين ذلك ؟

فقلت :

ـ قبيح أن يجلس الانسان في الظلام .

فاضاء الجاز وبدأ يدخن غليونه لانى أعرف ان هذا يريحه وخيل لى انى ساجن اذا بقيت فى هذه الغرفة ورغبت فى الخروج لمكان ما الى حيث النور والناس وان أترك تيد بكل ما كان يفكر فيه فذهبت الى غرفة النوم وكان سرير الطفلة مازال بها ولكن لم استطع النظر اليه فلبست قبعتي وملابسي وخمارى وذهبت الى تيد وقلت له انى خارجة فنظر الى ولاحظ انى لبست ملابس جديدة وربما سيفهم من بعض الفاظى انى لا اريده .

فقال : وهو كذلك ثم طلب منى وهو يقرأ ان اذهب الى الحديقة ولكنى في الواقع لم اذهب اليها وذهبت الى فيكتوريا وأخذت هانسوم (عربه) الى مقاطع شيرنج ثم توجهت الى استراند وكنت كونت رأيا فيما أفعله .. قبل مغادرة المنزل .. هل تذكر هارى ريتفورد انه كان يمثل اذ ذاك في مسرح اديلفى وكان يقوم بالدور الثانى لامسرحية الهزلية فذهبت الى المسرح وارسلت اسمى وكنت دائما احب هارى ريتفورد وكنت أعرف أنه عجيب خصوصا في الشئون المالية وبالرغم من كل اخطائه فانه كان شخصا نادر المثال .. أنت تعلم انه قتل في الحرب (البوير) أليس كذلك ؟

ـ لا أعلم ذلك وكل ما اعرفه انه اختفى ولم يعد الانسان يقرا اسمه وكنت أعتقد انه ذهب في بعض الأعمال .. أو شيء آخر .

وبعد أن انتظرت على باب المسرح قليلا حضر وقالت هاري دعنا نذهب الى احد الملاهي الليلية ماريك في تناول العشاء في رومانس .. فقال : وهو كذلك .. انتظريني هنا بمجرد انتهاء التمثيل ساخرج وندبر امرنا وساعود سريعا .. وانتظرت حتى انتهى العرض ثم سرنا سويا الى رومن ثم قال لى :

الانت جوعانه .. ؟

فقلت :

ـ اكاد اموت من الجوع .. وقد كنت حقا كذلك .. فقال : لناخذ احسن الطعام دون نظر الى المصاريف لأنى اخبرت بيل تيرى انه احسن من حيـــانى للعشاء وطلبت منه جنيهين .. وقال لنـــأخذ شمبانيا انى كنت قد ذهبت الى رومانس فيما مضي لقد كان جميلا نرى فيه جميع المشتغلين بالمسرح ورجال السباق والبنات الجميلات انه كان المكان الممتاز وقد كان معروف لهارى فذهبنا وجلسنا على المائدة وكان من عادته أنه يتكلم الانجليزية بغير فصاحة .. واعتقد انه كان يبغى بهذا اضـــحاك النـــاس ثم قال لى هارى وكيف حال الطفلة ؟

فقلت احسن .. ولم ارد ان اقول له الحقيقة لانك تعرف آراء الرجال انها مضحكة انهم لا يفهمون بعض الاشياء انى أعلم أن هارى سيعتبر حضـــورى الى هـــذا المكان بينما ابنتى ميتـــة عملا فظيعا وانه سيبدى أسفه الشديد وما شاكل هذا ولكن هذا مالا أريده انى اريد ان اضحك .

ثم اشعلت روزى السيجارة التي كانت تعبث منها .

ثم قالت :

ـ انت تعلم انه في بعض الأحيان عندما تلد المراة طفلا فقد لا يطيق الرجل ذلك ويتركها الى امراة اخرى .

ثم قال هارى : وما رايك فى الذهاب الى شــقتى حيث اريك بعض الصور ؟

فقلت : لا مانع ..

وكانت له شقة صغيرة في شارع تشيرنج كروس عبارة عن غرفتين وحمام ومطبخ صغير وذهبنا اليها وامضيت الليل معه ولما عاد صباح اليوم التالى ، وجدت الافطار على المائدة ووجدت تيد قد بدأ يأكل وكنت مصممة على أنه اذا بدرت منه اية بادرة فسأترك المنزل له واعــود الى هارى .. ولكنه نظر الى وقال : لقد عدت في الموعد المضبوط وكنت سآكل افطارى .. وجلست وصببت له الشاى وجعل هو يقرأ الصحف وبعد الانتهاء من الافطار ذهبنا الى المستشفى ولم يسالنى اين كنت ولم اعرف ماذا ظن وكان طول الوقت يتلطف معى جدا انى كنت بائسة كمـا تعلم .. وعلى كل حال فانى لم أر كيف اتغلب على ما انا فيه .. ولم يترك جهدا فى هذا الشأن الا وقد عمله .

وسالتها :

ـ وبعد ان قرات الكتاب ماذا فهمت منه ؟

فقالت :

ـ فهمت انه يعرف جيدا كل ماحدث في تلك الليلة والذى آلمنى انه كتب كل ذلك .. لقد كان المفروض أن هذا آخر ما يمكن وصفه فى كتاب انكم ايها الكتاب سمك عجيب وفى تلك اللحظة دق التليفون وتناولت روزى السماعه وانصت وسمعتها تقول :

ـ يامستر فيناری انه جميل منك أن تكلمنى .. انا بصحة جيدة وشكرا .

ثم وضعت روزى السماعة وعادت الى ..

وقالت :

ـ هذا احد الظرفاء انى سأذهب للعب البريدج باكر وقد طلبنى ليعتذر عن عدم مروره بسيارته انه طبعا من الغرباء ولكنه خفيف الدم وكان له محل بقالة في المدينة في نيويورك ولكنه الآن ترك العمل .

وقلت :

ـ الم تفكرى ياروزى في الزواج مرة اخرى ؟

فابتسمت وقالت :

ـ لا لانى لا اجد فرصا للزواج انى سعيدة بحالتى الراهنة .. وماعولت عليه هو مايأتى :

انى لا أحب ان أتزوج رجلا عجوزا .. وقد يكون من الحمق ان أتزوج شابا وانا فى هذه السن لقد اخذت حظى ..

وقلت :

ـ ومالذى حملك على الهروب مع جورج كيمب .

ـ انى كنت دائما احبه .. ومن قبل تيد بمدة طويلة .. ولم اكن افكر مطلقا ان اتزوجه انه كان متزوجا .. كان لديه من الاعمال ما يشغله ولما جاءيها يوما قال لى أن أعماله قد فشلت وأنه مهدد بالقبض عليه في أيام قلائل وكان ذاهبا الى امريكا وعرض على الذهاب معه فماذا كنت أفعل ؟ .. أأستطيع ان أتركه وحيدا وربما لم يكن معه نقود مع ما كان عليه من رخاء ؟ .. وخشيت أن يعتقد انى أكره العمل .

فقلت :

ـ لقد كنت دائما اعتقد انه هو الرجل الوحيد الذى حظى باهتمامك .

فقالت :

ـ نعم .

فقلت :

ـ انى أعجب ماالذى راقك فيه ؟

ثم جالت روزى بنظرها الى صورة على الحائط لا ادرى كيف فاتنى أن الاحظها وكانت صورة مكبرة للورد جورج موضوعة في اطار جميل بدا منه انه أخذها عند وصوله الى امريكا ويحتمل ان تكون يوم زفافهما .. بدا فيها ببدلة الفراك وعلى راسه قبعة مائلة الى جانب وتحت أحد ذراعيه عصا من فضة وفى عروة سترته وردة كبيرة وبيده اليمنى سيجار ينبعث منه الدخان .. وله شارب كبير مصمغ عند نهايته وفى عينيه نظرة (وقحة) وتبدو عليه العجرفة وفى رباط العنق دبوس به حجر من ماس على شكل حدوة الفرس .. أشبه ما يكون بهؤلاء الذين يترددون على سباق الخيل .

وقالت روزى :

ـ أريد أن أقول لك « انه كان دائما مثال الرجل الكامل المهذب »

انتهى

العدد القادم

من مجموعة : ثم ماذا ؟

١ ـ الاصبع

أو الزمن ينصرم

قصة التمزق والضياع الذى يعيش فيه انسان القرن العشرين وسيف الحرب النووية مسلط عليه ...

شريد مضي في جوف الظلام قادما من المجهول الى احد الأطباء حيث عثر عليه شرطي ملقى بجوار عربة الطبيب مصابا بمرض غريب ويتحدث بلغة أشد غرابة .. ترى ماذا أعد القدر للدكتور ماكس هارو وماس الكابوس الذى يجثم على صدره .. وهل سيوفق الأطباء وعلماء الآثار واخصائية اللغات لورا دانفيل في اماطة اللثام عن السر ؟ هذا ما ستجيب عليه قصة :

الاصبع

تاليف : جون بروز

ترجمة : غبريال وهبة

٢ ـ أيها الخادم الطيب المخلص

شقت السفينة اجواز الفضاء الخارجى في سرعة خارقة .. في سياحة مثيرة تجوب الكون الشاسع بحثا عن كوكب شبيه بالارض .. وفجاة اندفعت من انابيبها الموجهة بضع نفثات لاهثة فانعطفت فجاة من مسارها لتستقر في مدار حول الكوكب المنشود.

نتابع احداث القصة المثيرة لنستمتع بالحياة مع رواد النضال ونساير ابحاثهم ونلمس عظمة الاسلوب العلمى فى التفكير بخطواته المنطقية .. اتستطيع الامكانيات العلمية الموجودة حاليا اكتشاف وجود كائنات حية فوق سطح الكوكب .. ترى هل وطئته اقدام غيرهم من قبل ؟! هل اقبلوا من احد القمرين التابعين للكوكب واخفقوا في العودة ؟ .. أم تراهم قد ارسلوا الربابيت (الانسان الآلى) اولا الى هناك تمهيدا لغزوه ؟! .. أم ان الربابيت قد ثارت ضد صانعيها واستولت على الكوكب ؟! .. ما سر العلاقة بينها وبين الحيوانات ؟ .. هل استطاع رجال السفينة الاتصال والتفاهم مع الربابيت .. وبأى لغة تمكنوا من ذلك ؟ .. هل الانسان الآلى أعقل من الغزاة من بنى البشر الذين كانوا يمهدون لاستعمار الكوكب ؟ وهل استطاع أن يلقنهم درسا لن ينسوه ؟! ـ

هذا ما ستجيب عنه وقائع القصة المثيرة الهادفة

أيها الخادم الطيب المخلص

تاليف : جون بروز

ترجمة : غبريال وهبه

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

ملتزم التوزيع
فى الجمهورية العربية المتحدة وجميع انحاء العالم
الشركة القومية للتوزيع

مكتبات الشركة بالجمهورية العربية المتحدة

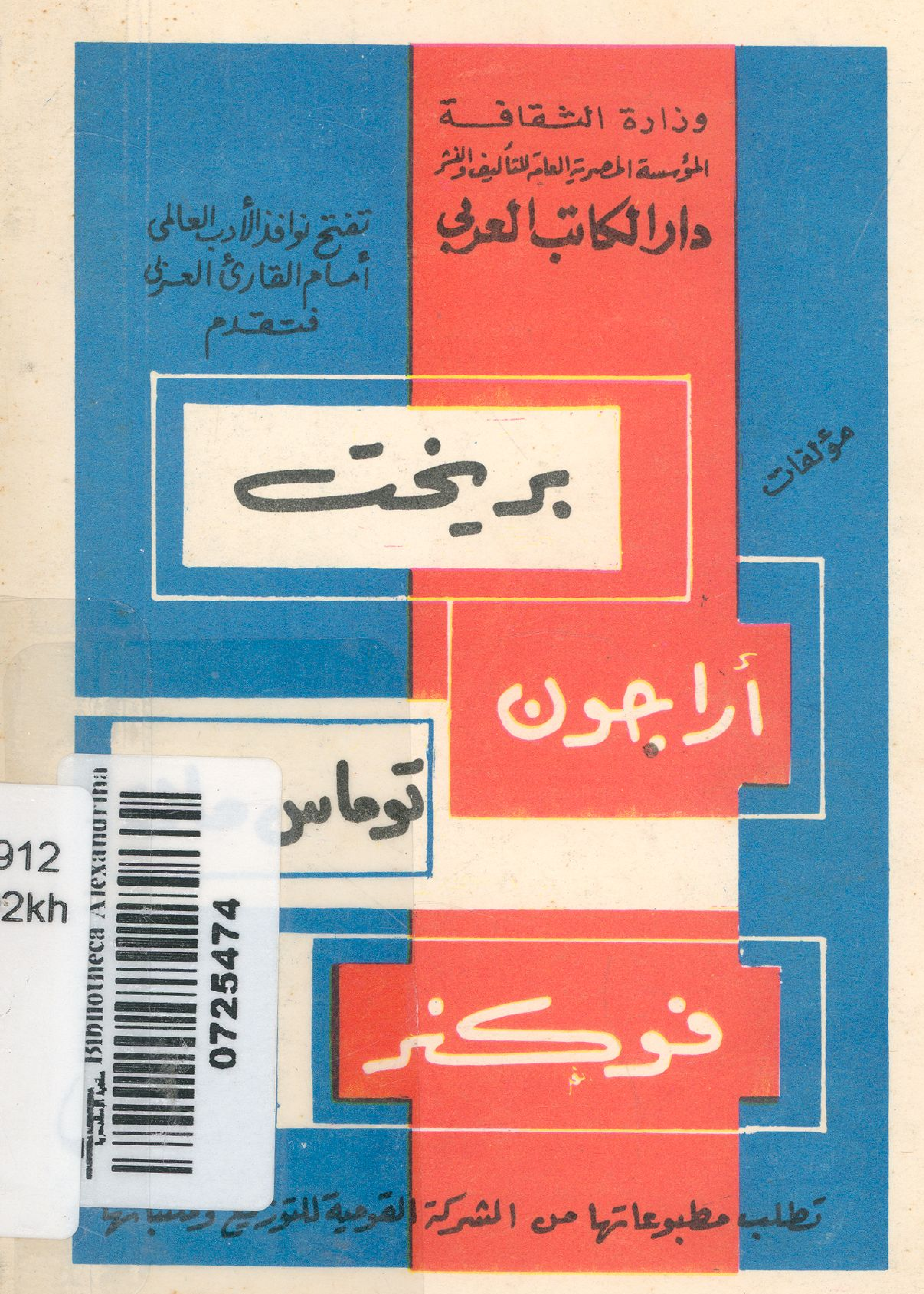
١ — فرع شريف	٣٩ شارع شريف	تليفون ٤٠٠١٢ القاهرة
٢ — فرع ٢٦ يوليو	١٩ شارع ٢٦ يوليو	٥٥٠٣٢ القاهرة
٣ — فرع ميدان عرابى	٥ ميدان عرابى	٤٩٣٨٣ القاهرة
٤ — فرع الميدان	١٣ شارع محمد عز العرب	٣١١٨٧ القاهرة
٥ — فرع الجمهورية	٢٧ شارع الجمهورية	٩١٠٧١٢ القاهرة
٦ — فرع عابدين	١٤ شارع الجمهورية	٩١٤٢٢٣ القاهرة
٧ — فرع الحسين	ميدان الحسين	القاهرة
٨ — فرع الجيزة	١ ميدان الجيزة	٨٩٨٣١١ القاهرة
٩ — فرع أسوان	السوق السياحى	٢٩٣٠ اسوان
١٠ — فرع الاسكندرية	٤٩ ش سعد زغلول	٢٥٩٢٥ الاسكندرية
١١ — فرع طنطا	ميدان الساعة	٢٥٩٤ طنطا
١٢ — فرع المنصورة	ميدان المحطة	المنصورة
١٣ — فرع أسيوط	شارع الجمهورية	أسيوط

مراكز ووكلاء الشركة خارج الجمهورية العربية المتحدة

١ — مركز توزيع الجزائر	شارع بن مهيدى العربى رقم ١١ سكره	الجزائر
٢ — مركز توزيع لبنان	شارع دمشق	بيروت
٣ — مركز توزيع العراق	ميدان التحرير	بغداد
٤ — عبد الرحمن الكيالى	شارع ٢٩ آيار — دمشق	سورية
٥ — الشركة العربية للتوزيع	ص . ب رقم ٤٢٢٨ بيروت	لبنان
٦ — قاسم الرجب	مكتبة المثنى — بغداد	العراق
٧ — رضا العيسى	وكالة التوزيع — عمان	الأردن
٨ — عبد العزيز العيسى	دار للتوزيع ص.ب ١٥٧١	الكويت
٩ — وكالة المطبوعات	الكويت	الكويت
١٠ — مكتب الوحدة العربية	شارع عمرو بن العاص — ليبيا	بنغازى
١١ — محمد بشير الفرجانى	٣٣ شارع عمرو بن العاص	طرابلس
١٢ — الشركة الوطنية للتوزيع		تونس
١٣ — وكالة الأهرام	شارع الرشيد	عدن
١٤ — المكتبة الوطنية	المنامة — الخليج العربى	البحرين
١٥ — مكتبة العروبة	ص.ب ٤٢ و ٦٤	الدوحة
١٦ — عبد الله حسين الرستمانى	المكتبة الاهلية ص.ب ٢٦١	دبى/عمان
١٧ — المكتبة الحديثة	ص . ب ٣٧	مسقط
١٨ — أحمد سعيد حداد	المكتبة الوطنية ص.ب ٢٥	المكلا
١٩ — مكتبة دار العلم	شارع عبد المغنى ميدان التحرير	صنعاء
٢٠ — على ابراهيم طبير	ص . ب ٨٢	اسمرة
٢١ — عبد الله قاسم الحرارى	ص ب ١٧١٤	اديس ابابا
٢٢ — مكتبة سعتر	ص ب ٩٣٦	مقديشيو
٢٣ — عبد الله غانم محمد	ص ب ٨١٥	ممباسا
٢٤ — مكتب توزيع المطبوعات العربية	لندن	لندن
٢٥ — المكتب التجارى الشرقى	١٠ فى كيمعار ص . ب ٢٠٠٥	سنغافورة
٢٦ — مكتبة مصر		الخرطوم
٢٧ — مكتبة النصر		وادى مدنى
٢٨ — زكى جرجس مطيوس	ص ب رقم ١٥٥	الخرطوم
٢٩ — ابراهيم عبد القيوم	مكتبة القسم ص.ب ١٨٠	بور سودان
٣٠ — عوض الله محمود دبورة	مكتبة دبورة ص ب ٢٤	عطبرة
٣١ — عيسى عبد الله	المكتبة الوطنية ص ٢١٥	وادى مدنى
٣٢ — مصطفى صالح	ص.ب ١٤	كوستى

أسعار البيع للجمهور فى الدول العربية

سوريا ٥٥ قرش سورى — لبنان ٥٠ قرش لبنانى — الأردن ٣٥ فلس — العراق ٥٠ فلس — الكويت ٣٥ فلس — السودان ٥٠ مليم — ليبيا ٥٥ مليم — قطر ٣٥ درهم — البحرين ٧٥ فلس — عدن ١٠٠ سنت — اديس ابابا ٥٠ سنت — أسمرة ٥٥ سنت — الجزائر ٨٥ سنتيم .



دار الكاتب العربي للطباعة والنشر